

أربعون
كلمـــة دعويـــة
(بطريقة مختصرة عصرية)

الدكتور
إبراهيم بن فهد بن إبراهيم الوَدْعَان



١٤٢٨هـ



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذه مجموعة كلمات جمعتها من هنا وهناك، وأضفت عليها شيئًا يسيرًا من عندي، وألقيتها على شكل كلمات قصيرة، في مساجد عدة، على مدى عشر سنوات، فأحببت المشاركة بها، والمساهمة ولو بالقليل في مجال الدعوة إلى الله.

فإن أصبت في ذلك فهو ما أرجو وآمل، وهو من توفيق الله عز وجل، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله من زللي وتقصيري، وحسبي أني أردت الخير، وإفادة الغير.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وأجعله حجة لنا لا علينا، يا رب العالمين.

وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد.

المؤلف
د. إبراهيم بن فهد بن إبراهيم الودعان
الرياض – المملكة العربية السعودية
ص . ب ٣٨١٣١ ، الرمز البريدي ١١٤٥٩
ebrahim.f.w@gmail.com





الكلمة الأولى

مواقف مع السلف

دخلوا على معاذ بن جبل ﵁ وكان في مرض موته، فقال لهم: انظروا هل أصبحنا، فقالوا ليس بعد، حتى قالوا في الثالثة: لقد أصبحنا، قال: اللهم أني أعوذ بك من صباح إلى النار، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكري [(١)] الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر [(٢)] ومكابدة الساعات [(٣)] ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر.

ودخل إبراهيم بن أدهم (أحد العباد الزهاد) على أحد أخوانه يعوده كان مريضًا، فوجده يتأفف ويتأسف، فقال له علام تتأفف وتتأسف، قال: "ما تأسفي على البقاء في الدنيا ولكن تأسفي على ليلة نمتها، وعلى يوم أفطرته وعلى ساعة غفلت فيها عن ذكر الله".

انظر أخي إلى هذا الإمام كيف أنه لا يتأسف على فوات الدنيا وما فيها من زخارف وزينة، وإنما يتأسف ويتألم على فوات الأوقات في غير الطاعات.

وهذا عبدالله بن سعد بن أبي السرح أحد الصحابة الشجعان لما قتل عثمان ﵁ وكان أخوه من الرضاع، أقام بعسقلان وقيل بالرملة، ودعا الله أن يقبضه في الصلاة، فصلى يومًا الفجر، فقرأ الفاتحة وسورة ولما فرغ من التشهد سلم التسليمة الأولى ثم أراد أن يسلم الثانية فمات ﵁ سنة ٣٦هـ.

وهذا عامر بن عبدالله بن الزبير الذي يسمع المؤذن لصلاة المغرب وهو مريض فحملوه إلى المسجد وقبضت روحه في أشرف مكان وهو المسجد وفي أفضل وضعية يحبها الله في الصلاة وهو موطن السجود.

وهذا عمر بن عبدالعزيز بن مروان - رحمه الله - قال لمن حوله وهو في مرض الموت: أجلسوني فأجلسوه، ثم قال: أنا الذي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت، قالها ثلاثًا: ولكن لا إله إلا الله، وقبضت روحه على هذه الحال الحسنة.

وفي رواية أنه قال لمن حوله: أخرجوا عني (كان عنده مسلمة بن



(١) لحفر الأنهار.

(٢) الصيام في اليوم الحار.

(٣) قيام الليل.



عبدالملك وفاطمة زوجته) فسمعوه يقول: مرحبًا بهذه الوجوه ليست بوجوه إنس ولا جان ثم تلا: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١) فما زال يكررها حتى قبض رحمه الله.



(١) سورة القصص ، آية (٨٣) .



الكلمة الثانية

إياك والذنوب

لما دخلوا على عبدالله بن مسعود ﷺ في مرض موته قالوا له: ماذا تشتكي؟ قال: اشتكي ذنوبي!، ثم قالوا له: وماذا تشتهي؟ قال اشتهي رحمة ربي.

أبو عبدالرحمن الإمام العلم الفقيه، من السابقين إلى الإسلام كان يقول: لقد رأيتني سادس ستة وما على ظهر الأرض مسلم غيرنا، وهو ممن شهد بدرًا.

وزكاه النبي ﷺ وقال: "يرحمك الله إنك غُلَيِّمٌ معلَّم"(١) .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد (٢) : أنه لما صَعَد على شجرة فضحك بعض الصحابة من دقة ساقيه، فقال ﷺ: "أتضحكون من دقة ساقيه إنها في الميزان عند الله أثقل من جبل أحد".

فمع هذه الفضائل وهذا الشرف وغيرها من الفضائل التي لم أذكرها، هو يخاف من الذنوب، بل جاء عنه ﷺ أنه لما تبعه بعض تلاميذه قال لهم: عودوا والله لو تعلمون ما عندي من الذنوب لحثوتم التراب على رأسي.

وفي صحيح البخاري (٣) يقول ﷺ: "إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه قال به هكذا" وأشار بيده على أنفه.

فيصور لنا عبدالله بن مسعود حال المؤمن مع الذنوب تصويرًا دقيقًا فالمؤمن لشدة خوفه من الله لا يأمن على نفسه يرى ذنبه كالجبل الذي لو وقع عليه لأهلكه فهو خائف غير آمن من سوء عاقبة الذنب بينما الفاجر المقصر والعاصي قليل المعرفة بالله يستهين بالذنب ولا يأبه له ولا يراه شيئًا يذكر، بل يراه كأنه ذباب وقع على أنفه فأبعده غير مبالٍ من سوء العاقبة نسأل الله العفو والعافية.

قيل للحسن البصري: "ألا يستحي أحدنا من ربه يستغفر من ذنوبه ثم يعود، ثم يستغفر ثم يعود، قال ودّ الشيطان لو ظفر منكم بهذا، فلا تملوا الاستغفار".

---

(١) رواه الإمام أحمد ٣٧٩/١. انظر سيرته في : سير أعلام النبلاء ٤٦١/١ .

(٢) المسند ١١٤/١ .

(٣) رقم ٦٣٠٨ .





وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: "أيها الناس من ألم بذنب فليستغفر الله وليتب، فإن عاد فليستغفر الله وليتب، فإن عاد فليستغفر الله وليتب، فإنما هي خطايا مطوقة في أعناق الرجال، وإن الهلاك كل الهلاك في الإصرار عليها".

قال سعيد بن المسيب في قول الله تعالى: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾ [1] قال: هو الذي يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب.

أتفرح بالذنوب وبالمعاصي ... وتنسى يوم يؤخذ بالنواصي

وتأتي الذنب عمدًا لا تبالي ... ورب العالمين عليك حاصي

اللهم اغفر ذنوبنا، واستر عيوبنا، وآمن روعاتنا.



(١) سورة الإسراء، آية (٢٥).



الكلمة الثالثة

وقفتان

الوقفة الأولى:

ماذا قدمت لنفسك؟ وماذا أعددت لها في المستقبل القريب والله سبحانه يقول: ﴿ **وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً** ﴾ (١) ، ويقول سبحانه: ﴿ **يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ** ﴾ (٢) فالله سبحانه جعل المستقبل قريب جدًا بوصفه بالغد.

كان أحد الصالحين يمشي في السوق ويصلي النافلة فسألوه عن ذلك مستغربين هذا الفعل في هذا الوقت، قال أبادر طي الصحيفة، يخشى أن يذهب ذلك اليوم، ولم يسجل له فيها عمل صالح.

يقول الحسن البصري رحمه الله: "ما من يوم ينشق فجره إلا وينادى يا ابن آدم أنا يوم جديد وعلى عملك شهيد فاغتنمني فإني لا أعود إلى يوم القيامة".

الوقفة الثانية:

إلى متى تؤخر التوبة، والله سبحانه يحب التائبين قال سبحانه ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّابِينَ** ﴾. (٣) والله سبحانه يفرح بتوبة عبده حين يرجع ويتوب إليه، قال ﷺ: "لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح (٤) .

أخي الحبيب:

إلى متى يا نفس تغترين بالأمل ... يا نفس توبي قبل ألا تستطيعي أن

واستغفري لذنوبك الرحمن غفار ... إن المنايا كالرياح عليك دائمة



(١) سورة المزمل، آية (٢٠) .

(٢) سورة الحشر، آية (١٨).

(٣) سورة البقرة، آية (٢٢٢).

(٤) البخاري ٦٣٠٨، مسلم ٢٧٤٤ . .




شبكة
الألوكة
www.alukah.net


الجديد
و
الحصري
NEW & EXCLUSIVE



الكلمة الرابعة

تَذَكَّر من أنت !

هذا يزيد بن عبدالملك الخليفة الأموي قيل كان سبب وفاته، أنه كان يحب جارية عنده اسمها "حبّابة" فطلب أن يخلو بها ويجلس معها لوحدهما في قصره ولا يعكر عليه أحد ذلك المجلس، وكان بينهما صحن عنب فأخذ يلعب معها فيقذف بالواحدة تلو الأخرى في فمها فإذا بواحدة تعلق في حلقها فتغص بها فماتت للحظتها وسقطت جثة هامدة، فحزن عليها حزنًا عظيمًا، حتى إنه أبقاها عنده أيامًا حتى أنتنت وجيفت، ثم بعد ذلك أمر بدفنها، ومات هو بعدها بأيام وعمره ٣٣ سنة.

إذن أيها الأخوة الإنسان مخلوق ضعيف، وذليل إلا من رفعه الله وأعزه، يمرضه الذباب والبعوض، ويؤذيه حر الصيف وبرد الشتاء، وتميته الشرقة، ويصرخ ويتالم من الشوكة.

﴿ **يَاأَيُّهَا ٱلْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ * ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ** ﴾ (١). قال بعض أهل التفسير (٢) : الله قادر على أن يجعل صورتك على هيئة حمار أو كلب أو خنزير أو قرد، ولكن الله بفضله ورحمته، خلقك في أحسن تقويم.

سليمان بن عبدالملك الخليفة الأموي، وقف أمام المرآة وقد تزين، ولبس أبهى حلة، نظر إلى شكله في المرآة فأعجبه شكله وغرّه شبابه، فقال: لقد كان محمد ﷺ نبيًا، وأبو بكر صديقًا وعمر فاروقًا وعدد الخلفاء حتى قال: وأنا سليمان بن عبدالملك الملك الشاب، فمرض بعدها ثلاثة أيام ومات، ولم يبلغ الأربعين.

وأخيرًا:

يذكر أهل السير أن رجلاً اسمه أحمد بن الريوندي: أنه أُعطي ذكاءً ولم يعط زكاءً، كان يجلس على الشاطئ ويغط كسرة خبز على الماء ويأكلها وينظر إلى السماء ويقول: يا رب تعطي آل فلان مالاً وأنا ابن الريوندي آكل كسرة خبز ﴿ **تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ** ﴾ (٣) أي جائرة وظالمة وحاشا لله ذلك.

ألف كتابًا سماه "الدامغ" ليدمغ القرآن بزعمه فدمغه الله بالأمراض



(١) سورة الانفطار، الآيات (٦-٨) .

(٢) انظر تفسير القرآن لابن كثير.٥١٤/٤ .

(٣) سورة النجم ، آية (٢٢).

حتى مات وهو يخور كما يخور الثور [١] .

اللهم اغفر ذنوبنا، واستر عيوبنا، وآمن روعاتنا، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين، برحمتك يا أرحم الراحمين.



(١) انظر ترجمته: في سير أعلام النبلاء ٥٩/١٤، وفيات الأعيان لابن خلكان ٩٤/١.



الكلمة الخامسة

الميزان التقوى

وقف بلال وصهيب وعمار وأبو سفيان والحارث بن هشام ﷺ عند باب عمر ليؤذن لهم، وكان أبو سفيان يتوقع أن يدخل الأول لأنه سيد قريش، فأمر عمر ﷺ بأن يدخل أولاً بلالاً ثم عمار وصهيب وبقي كبار قريش عند باب عمر، فغضب أبو سفيان وكأنه قال: ما رأيت أن يدخل قبلي هؤلاء الأعبد، فعاتبه الحارث بن هشام، وقال كلامًا ما معناه، إن القوم دُعُوا فأجابوا فسبقوا للإسلام ودعينا فتأخرنا، ولا أبالي أن أقف عند باب عمر فلا أدخل ولكن أخشى أن أتأخر في الآخرة.

ودخل خباب بن الأرت يومًا على عمر فأكرم مجلسه وقال: ما أحد أحق بهذا المجلس منك إلا بلال.

إذاً ما الذي رفع بلالاً، وأوصله إلى هذه المنزلة: إنه التقوى: الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل.

لذا سمع النبي ﷺ خشفة (أي صوت) نعليه في الجنة وسأله عن ذلك، فقال: إنه ما أذن قط إلى وصلى بعده ركعتين، وما أحدث إلا وتوضأ ثم صلى ركعتين [١] .

فكم من إنسان غير معروف، ولا يؤبه له، وليس من أشراف الناس ولا من ساداتهم أو كبرائهم، رفع الله منزلته، وأعلى مكانته، وأصبح له تأثيره ووزنه في أمته.

فهذا عبدالرحمن بن أبزى الخزاعي له صحبة ورواية، وفقه وعلم وهو مولى من الموالي ففي صحيح مسلم[٢] نافع بن عبدالحارث الخزاعي، وكان عامل عمر على مكة، أنه لقيه بعسفان [٣] ، فقال له: من استخلفت؟ فقال: ابن أبزى مولى لنا، فقال عمر: (مستنكرًا عليه) استخلفت مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: "إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين".

ويروى عن عمر ﷺ أن قال: ابن أبزى ممن رفعه الله بالقرآن[٤].

وهذا مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي عبد أسود مولى من الموالي



(١) رواه الإمام أحمد ٣٥٤/٥، وأصله في البخاري ١١٤٩، ومسلم ٢٤٢٨ .
(٢) رقم ٨١٧ .
(٣) منطقة قريبة من مكة.
(٤) انظر : سير أعلام النبلاء ٢٠٢/٣ .



رفعه الله بالتقوى وفعل الطاعة وطلب العلم، لم يمنعه ضعفه ولا فقره من أن يقدم شيئًا للأمة، وأن يؤثر فيها وأن يصنع مجدًا يخلده التاريخ فكان شيخ المفسرين والقراء وإمامهم والمقدم على كثير منهم في زمانه، يقول: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة. ويقول: عرضت القرآن ثلاث عرضات أوقفه عند كل آية أسأله فيم نزلت، وكيف كانت؟

ويقول عنه الأعمش: ترى مجاهد كأنه حمال.

فإذا نطق خرج من فيه اللؤلؤ، مات رحمه الله وهو يصلي ساجدًا لله سنة ١٠٢هـ[١] .

يقول مجاهد: صحبت ابن عمر رضي الله عنهما، وأنا أريد أن أخدُمَه، فكان يخدمُني. ويقول: ربما أخذ ابن عمر لي بالرّكاب. فهذا تابعي وابن عمر صحابي ولكن رفعه الله بالتقوى والعلم.



(١) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٤/٤٤٩ .



الكلمة السادسة

حب الصحابة للنبي ﷺ

في مستهلّ هذه الكلمة أذكر موقفًا عجيبًا لرجل أعجمي كان يسكر مع آخر في إحدى الخمارات في دولة ما، وكان يتضاحك وصاحبه ويتمازحان، وإذا بالخمرة تلعب برأس الآخر، فأخذ يسبّ ويشتم، وإذا به يتعرض للنبي ﷺ، فيذكر سيرته بسوء، فيقوم ذلك الأعجمي فكأنما نشط من عقال، لقد صحى من سكره، وقال كل شيء نتسامح فيه ونمزح إلاّ الرسول ﷺ فقام فضرب صاحبه وجلده، وخرج من الخمّاره، وكان هذا الموقف سببًا في توبته ورجوعه إلى الله.

ولقد ضرب الصحابة ﷺ أروع الأمثلة في محبتهم لنبيهم ﷺ، كيف لا وهو القائل كما في الصحيحين "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين"[١].

فهذا عبدالله بن رواحة ﷺ أحد أمراء غزوة مؤتة سمع النبي ﷺ وهو يخطب يقول: "اجلسوا" فجلس وكان خارج المسجد، فلما انتهى من خطبته بلغ ذلك الرسولُ ﷺ فقال: زادك الله حرصًا على طواعية الله وطواعية رسوله"[٢].

وروى الإمام أحمد[٣] عن مجاهد قال: كنا مع ابن عمر رضي الله عنهما في سفر فمر بمكان فحاد عنه (أي: مال) فسئل: لم فعلت؟ فقال: رأيت رسول الله ﷺ فعل هذا ففعلت".

ويقول نافع مولى ابن عمر: لو رأيت إلى ابن عمر إذا اتبع أثر النبي ﷺ لقلت هذا مجنون[٤]. وهذا منه ﷺ حرص على تحصيل الثواب والفوز بالأجر، وفيه تعويد للنفس على الاقتداء به ﷺ.

وروى الإمام أحمد[٥]: أن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تمنعوا النساء أن يأتين المساجد" فقال ابن له: والله لنمنعهنّ، فقال ابن عمر: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول هذا! فما كلمه حتى مات.

وروى الإمام أحمد: أن العباس ﷺ كان له ميزاب لتصريف ماء



(١) البخاري ١٥، مسلم ٤٤ .
(٢) أسد الغابة لابن الأثير ١٣٠/٣.
(٣) ٤٤/٢ رقم ٤٨٦٩ .
(٤) حلية الأولياء ٣١٠/١ ، سير أعلام النبلاء ٢١٣/٣ .
(٥) ٥١/٢ رقم ٤٩٣٢ .



المطر على طريق عمر ﵁، فلبس عمر ثيابه للجمعة ومر من تحته فصب عليه الميزاب، وكان فيه ماء مختلط بدم فرخين قد ذبحهما العباس، فأمر عمر بقلعه فرجع عمر وغيّر ثيابه، فلما صلى أتاه العباس، وقال: إنه الموضع الذي وضعه النبي ﷺ، فقال عمر للعباس: أنا أعزم عليك لما صعدت على ظهري حتى تضعه في الموضع الذي وضعه النبي ﷺ ففعل ذلك العباس(١).

وهذا زيد بن الدَّثِنة ﵁ لما أسر في غزوة الرجيع وجيء به إلى مكة واشتراه صفوان بن أمية وأخرجه إلى التنعيم ليقتله بأبيه أمية بن خلف، اجتمعت عليه قريش وفيهم أبو سفيان فقال له: أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمدًا عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنّك في أهلك؟! قال: والله ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وأنّي جالس في أهلي، قال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحدًا يحب أحدً كحب أصحاب محمد لمحمد ﷺ، ثم قتلوه ﵁ (٢).

ويذكر ابن هشام في السيرة النبوية(٣): أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها وابنها يوم أحد، فلما أخبروها قالت: ما فعل النبي ﷺ؟ قالوا: خيرًا هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرونيه انظر إليه، فلما رأته قالت: كل مصيبة بعده جلل (أي: هيِّنة) وفي رواية: بأبي أنت وأمي، لا أبالي إذا سلمت من عطب (أي: أذى).

وهذه أيها الإخوة أمثلة لمحبة الصحابة للنبي ﷺ وكيف أنهم يفدونه بأرواحهم وأموالهم وأهليهم، فينبغي لنا أن نتأس ونقتدي بهم في ذلك، وأن نؤثر النبي ﷺ على أنفسنا وأموالنا وأهلينا.

اللهم من أساء إلى نبيك فاجعل ما سطره ورسمه وبالاً وحسرة عليه يا رب العالمين، اللهم رد كيد المعتدي، وأجعلهم عبرة للمعتبرين. وصلى الله على نبينا محمد.



---

(١) مسند الإمام أحمد ٢٧٣/١ رقم ١٧٩٥ .

(٢) أسد الغابة ١٣٤/٢.

(٣) ١١٠/٣ .

الكلمة السابعة

أهمية القرآن

عبدالرحمن بن أبزى الخزاعي صحابي جليل ومولى من الموالي وإنسان فقير لا يملك شيئًا من حطام الدنيا، لكنه صاحب فقه وعلم، وممن حفظ القرآن، يقول عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه - وعمر تعرفونه لا يجامل أحدًا، بل يقول الصدق وكلمة الحق ولا يبالي ممن هو أمامه - يقول عنه عمر: "ابن أبزى ممن رفعه الله بالقرآن"(١).

وفي صحيح مسلم (٢) : أن نافع بن عبدالحارث لقي عمر بعُسْفَان فقال: من استعملت على أهل الوادي؟ يقصد مكة، فقال: ابن أبزى، قال ومن ابنُ أبزى؟ قال: مولى من موالينا. قال عمر: استخلفت عليهم مولى (يعني ينكر عليه ذلك) قال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل، وعالم بالفرائض، قال عمر: أما إنّ نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال: "إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين".

أرأيت كيف أن كتاب الله يرفع الإنسان الوضيع يرفع العبد المولى، لذلك يقول سليمان بن مهران الأعمش، وهو من التابعين: "لولا هذا القرآن في صدري لكنت من بقالي الكوفة".

يعني بهذا أنه كان إنسانًا عاديًا يبيع البقول والخضار، لكن رفعه الله بهذا القرآن.

وهذا أيها الأخوة مجاهد بن جبر رحمه الله وهو مولى لعبدالله بن السائب، إنسان ضعيف وفقير ومولى من الموالي ولكن رفعه الله بالقرآن وأصبح شيخ المفسرين في زمانه ومن أكبر تلاميذ ابن عباس، يقول: عرضت القرآن على ابن عباس ٣٠ مرة، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يخدمُه ويأخذ له بالركاب ليركب على الدابة.

ولقد رفع الله الصحابي الجليل عمرو بن سَلِمة الجرمي بحفظه للقرآن فقد



(١) سير أعلام النبلاء ٣/٢٠٢ .

(٢) ص٤٠٧ رقم ٨١٦ .



صار إمامًا لقومه وعمره ست أو سبع سنين[١]. يقول ﷺ: "يقال لصاحب القرآن اقرأ وارْتقِ ورتل كما كنت ترتلُ في الدنيا فإن منزلتك (يعني في الجنة) عند آخر آية كنت تقرؤها"[٢].

فاحرص أيها الأب الكريم تسجيل أبنائك في حلقات التحفيظ لأنها تحفظ أوقاتهم بما يعود عليهم بالنفع والخير في الدنيا والآخرة. وينبغي على الشباب صغيرهم وكبيرهم الالتحاق بهذه الحلقات والاستفادة منها وعلى الجميع الدعم المادي والمعنوي.

وبالله التوفيق ، وصلى الله على نبينا محمد ،،،،،



(١) أسد الغابة لابن الأثير ٧٣١/٣ .

(٢) رواه الإمام أحمد وأبو داود، صحيح الجامع للألباني ١٣٤٩/٢ رقم ٨١٢٢ .

الكلمة الثامنة

من أساليب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

في صحيح البخاري أن رجلاً أعرابياً أتى النبي ﷺ وهو يطوف بالكعبة فجبذه بشدة مع ردائه أو بردته، فأثر ذلك في رقبته، فالتفت إليه مبتسماً عليه الصلاة والسلام، فقال الأعرابي بشدة وغلظة، وبدون مقدمات يا محمد أعطني من مال الله الذي ليس من مالك، ولا من مال أبيك. فقال الشفيق العطوف على أمته، أعطوه ، فأعطاه الصحابة وادٍ من الغنم، فذهب الرجل إلى قومه، وقال: يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة، وفي رواية: لا يخشى الفقر [١] .

إنه فعل مشين، وأمرٌ منكر، أن يُصنع بالنبي ﷺ ، ويفعل معه هذا الفعل، جذبٌ بقوة، وتأثير في رقبته الشريفة، ثم ماذا؟ نداء فيه سوء أدب مع معلم البشرية ﷺ ، ومع ذلك كلّه قابله ﷺ بابتسامة مشرقة، وفعل جميل، وكانت النتيجة والثمرة لتصرفه الحكيم ﷺ، أن الرجل أصبح داعية إلى قومه يحثهم على الدخول في الإسلام. لذا قال أنس رضي الله عنه : "خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي أفٍ قط، وما قال لشيء صنعته لم صنعته؟ ، ولا لشيء تركته لم تركته؟ وكان من أحسن الناس خُلُقاً، ولا مسست خزاً قط ولا حريراً، ولا شيئاً كان ألين من كفّ النبي ﷺ ، ولا شممت مسكاً قط، ولا عطراً كان أطيب من عرق النبي ﷺ " [٢] .

فأسلوب التعامل فيمن يقع في الخطأ مهم جداً، فأنت حينما تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر تذكّر أمران:

الأول: النيّة ، فاستحضر النية الصالحة . فأنت في عمل جليل ومبارك، وستؤجر وتثاب عليه.

الثاني: تخيّر في نفس الوقت الأسلوب الجميل، والتصرف الحكيم ، والكلمة الطيبة والتي لها تأثير في إنكارك ، وذلك حسب المقام والحال.

وانظر إلى موقف آخر، موقف رائع وجميل، يتجلى فيه مكارم الأخلاق، ويشرق فيه خُلق النبي ﷺ، وكيف يتعامل مع الخطأ!؟

يقول معاوية بن الحكم رضي الله عنه، صليت مع النبي ﷺ ، فعطس رجل من القوم ، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أماه، ما

---

(١) البخاري ٥٨٠٩ .
(٢) الترمذي ٢٠١٥، وقال : حديث حسن صحيح. وأصله في الصحيحين: البخاري ٣٥٦١، مسلم ٢٣٣٠ .



شأنكم تنظرون؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فعرفت أنهم يصمّتونني، فلما رأيتهم يسكتونني سكت، فلما صلى رسول الله ﷺ– بأبي وأمي – ما ضربني ولا سبني، وفي رواية: فما رأيت معلماً قط أرفق من رسول الله ﷺ ، ثم قال: "إن هذه الصلاة لا يحل فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح، والتكبير، وقراءة القرآن"(١).

وقصة الصحابي الأعرابي، الذي بال في طائفة المسجد، فقام الصحابة لينهروه، فنهاهم النبي ﷺ ، فترك حتى فرغ من حاجته، فدعاه النبي ﷺ ، ووجهه توجيهاً نبوياً رفيقاً بقوله: "إن هذه المساجد لا تصلح لهذا إنما هي لذكر الله والصلاة" ، فقال الأعرابي: اللهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحد" فقال النبي ﷺ ، وهو يضحك: لقد حجرت واسعاً (٢) .

وأذكر موقفين رائعين في كيفية التعامل مع من ارتكب خطأً:

الأول: أن زين العابدين علي بن الحسين خرج من المسجد يوماً، فاعترضه رجل في طريقه فسبه، فقام الناس إليه يريدون ضربه، فقال: دعوه، ثم أقبل عليه، وقال: ما ستره الله عنك من عيوبنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحيا الرجل، فألقى عليه خميصة، وأمر له بألف درهم، فكان الرجل إذا رآه قال: "إنك من أولاد الأنبياء".

الثاني: ومرة كان يتوضأ فصب عليه مولاه ماءً حاراً ففزع، وغضب، فقال له: والكاظمين الغيظ، قال زين العابدين: كظمت غيظي، قال : والعافين عن الناس، قال: عفوت عنك، قال: والله يحب المحسنين، قال: اذهب فأنت حر لوجه الله.



(١) مسلم ٥٣٧، أبو داود ٩٣٠ .
(٢) البخاري ٦٠٢٥، مسلم ٢٨٤ .

الكلمة التاسعة

بين غذائين

الإنسان في هذه الدنيا يتقلب بين غذائين، غذاء للروح، وغذاء للجسد. والملاحظ أن غذاء الجسد اهتم به أكثر الناس على حساب غذاء الروح، ولا يُنكر على الإنسان أن يهتم بجسده، بل إن المسلم مطالب بحق جسده، كما قال ﷺ "إن لجسدك عليك حقًا"[(١)] .

لكن المحذور والخطأ أن نجعل جُلّ اهتمامنا وحياتنا في أجسادنا، فالكل منا يأكل ويتغذى وهذه نعمة عظيمة، لكن لابد أن يعتدل المسلم ويكون إنسانًا وسطًا.

يا متعب الجسم كم تسعى لراحته أتعبت جسمك فيما فيه خسران

أقبل على الروح واستكمل فضائلها فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

لو أن الإنسان خرجت روحه وأتي بجسده أمامك؟ هل يعتبر إنسانًا أو يعتبر جثمانا؟

ولو أُتي بشخص أمامك هيكل عضمي، ومريض لا يتحرك لكن فيه نفس فإننا نطلق عليه "إنسانًا" ما دامت هذه الروح تتردد بين جنبيه.

فغذاء الروح، هو الأساس، وهو الغذاء الذي أهمله كثير من الناس، حيث تجد من يمشي بين الناس وهو ممتلئ الجسد ولكن لا روح له.

يقول ﷺ: "إن الله يبغض كل جعظري جواض[(٢)] سخاب في الأسواق، جيفة بالليل حمار بالنهار"[(٣)] .

ويقول ابن القيم مشيرًا لأهمية الروح:

وقوت الروح أرواح المعاني وليس بأن طعمت أو شربت

فالتوازن مطلوب في حياة المسلم، لذا فقد وُجِد أقوام غلبوا جانب الروح حتى أهملوا الجسد، فوصلوا إلى مرحلة تعيسة، حتى إن أحدهم وضع لاصقًا على إحدى عينيه، وقال: إسراف أن أنظر إلى الدنيا بعينين اثنتين، وأنكر النبي ﷺ على الصحابة الثلاثة الذين خالفوا نهج النبي ﷺ،



(١) البخاري ١٩٧٥، مسلم ١١٥٩ . .

(٢) الجعظري: الفظّ الغليظ.

الجوّاض: الجموع المَنوع المختال في مشيته.

جيفة: كالجيفة لا تتحرك فهو ينام طول الليل.

(٣) رواه البيهقي وابن حبان. صحيح الجامع ٣٨٢/١ رقم ١٨٧٨ .



فأحدهم قال: أصلي الليل أبدًا، والثاني قال: أصوم الدهر ولا أفطر، والأخير قال: إني أعتزل النساء، فقال ﷺ: "أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني" (١) .



(١) البخاري ٥٠٦٣، مسلم ١٤٠١ .



الكلمة العاشرة

اذكر قلبك في ثلاثة مواطن

يقول الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: "اطلب قلبك في ثلاثة مواطن: عند سماع القرآن، وفي مجالس الذكر، وفي وقت الخلوة، فإن لم تجده في هذه المواطن، فاعلم أنه لا قلب لك فسل الله قلبًا آخر".

أخي المبارك: اختبر قلبك وأطلبه

أولاً: عند سماع القرآن:

هل تحب سماعه؟ هل تحب قراءته وتدبره؟ ولنسأل أنفسنا ما هو حظنا في اليوم من كتاب الله؟ إن بعضنا قد أعطى الجرائد والمجلات أكثر مما تستحق، فتجد مثلاً بعد صلاة الجمعة البقالات مزدحمة، لماذا؟ من أجل جريدة معينة لتصفح الأخبار الرياضية.

كان أحد الدعاة قبل أن يتوب إلى الله يقوم قبل الفجر بساعة ليقرأ الجرائد، لقد خصص هذا الوقت الحبيب إلى الرحمن ﴿ **ٱلصَّابِرِينَ وَٱلصَّادِقِينَ وَٱلْقَانِتِينَ وَٱلْمُنْفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ** ﴾ [1] في قراءة الصحف والاطلاع عليها، مع أن الأولى أن يكون هذا الوقت الفضيل في ذكر أو صلاة أو دعاء.

فليتنا أيها الأخوة نعطي كتاب الله حقه وقدره لأنه هو الذي ينفعنا في الدارين.

وانظر إلى حال بعض السلف لما عاش في الدنيا مع القرآن ختم له بخير، فهذا الإمام الإسماعيلي توفي فجأة بجرجان وهو قائم يصلي في المحراب في صلاة المغرب، فلما قرأ ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ [2] فاضت روحه إلى بارئها.

وهذا الإمام عبدالله بن إدريس، لما احتضر أخذت ابنته تبكي، فقال: لا تبكي لقد ختمت القرآن أربعة آلاف ختمة.

ثانيًا: واطلب قلبك في مجالس الذكر:

فإذا كنت ممن يحب مجالس الذكر، فاعلم أن قلبك قلب حيّ نابض بالإيمان، قال سبحانه: ﴿ **أَلاَ بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ** ﴾ [3] وقال ﷺ: "مثل



(١) سورة آل عمران، آية (١٧).

(٢) سورة الفاتحة، آية (٥).

(٣) سورة الرعد، آية (١٨).



الذي يذكر الله والذي لا يذكره مثل الحي والميت" [١].

ثالثًا: واطلب قلبك في الخلوات:

حيث لا يراك الناس، ولا يراك أحد، إلا الله سبحانه وحيث المراقبة وهي مرتبة الإحسان.

قال ﷺ: "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله" وذكر ﷺ: "ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه"[٢] لقد ذكر الله في مكان لا يراه أحد، خليٌّ من كل الناس، تذكر ذنوبه، تذكر سيئاته، تذكر أن الله مطلع عليه فبكى وسالت دموعه:

وإذا خلوت بريبة في ظلمة   والنفس داعية إلى الطغيان

فاستح من نظر الإله وقل لها   إن الذي خلق الظلام يراني

فتذكر أخي الحبيب، إذا خلوت مع نفسك، وزينت لك نفسك الفرصة لاقتراف الذنب، وارتكاب المعصية فتذكر مراقبة الله وأنه يراك، لذلك يقول ﷺ: "اتق الله حيثما كنت"[٣].

والله قبل ذلك يقول: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾[٤].

سبحانه يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في ظلمة الليل البهيم.

يا من يرى مدّ البعوض جناحها   في ظلمة الليل البهيم الأليل

ويرى نياط عروقها في مخها   والمخ في تلك العظام النحل

أغفر لعبد تاب من زلاّته   ما كان منه في الزمان الأوّل

يروى أن ابن تيمية خرج من جامع دمشق ثم مشى حتى ترك الدور، فلما صار في الصحراء قال: لا إله إلا الله ففاضت عيناه.



(١) البخاري ٦٤٠٧ ..
(٢) البخاري ٦٦٠، مسلم ١٠٣١ . .
(٣) الترمذي ١٩٨٨.
(٤) سورة المجادلة ، آية (٧) .



الكلمة الحادية عشرة

التكبيرة الأولى

يذكر الإمام الذهبي في السير أن عامر بن عبدالله بن الزبير - وهو من كبار التابعين - سمع المؤذن لصلاة المغرب، وكان في سكرات الموت، فقال لمن حوله: خذوا بيدي إلى المسجد، فقالوا له: إنك عليك "أي مريض" قال: أسمع داعي الله فلا أجيبه؟ فأخذوا بيده. فدخل مع الإمام في الصلاة، فركع ركعة ثم مات رحمه الله [١] .

فقبضت روحه في أفضل وضع للإنسان بين يدي الله في الصلاة، وفي بقعة يحبها الله وهي المسجد، وهذه علامة من علامات الميتة الحسنة.

فالميتة الحسنة: أن يتوفاك الله وأنت في صلاة، أو جهاد، أو دعوة في سبيل الله، أو وأنت تقرأ القرآن، أو في مجالس الذكر، إلى غير ذلك من أعمال الخير.

والميتة السيئة:أن يتوفى الله الإنسان، وهو يسمع الأغنية الماجنة، أو في سهرة خليعة، أو على نهاية مشينة، مع إبرة مخدر، أو كأس خمر، أو في سفر معصية، إلى غير ذلك من الأعمال السيئة، نسأل الله العافية.

الشاهد أيها الإخوة، أو الأمر الذي اريد أن أنبه عليه هو تقاعس بعض الأخوة في أداء الصلاة، فبعضهم لا يأتي إلاّ عند الإقامة، والبعض تفوته الركعة، والركعتان، ولا يبالي، ولا يهتم، وهذا التابعي الجليل عامر بن عبدالله، رغم مرضه وتعبه، إلاّ أنه أصرّ على الذهاب إلى المسجد. فما عذرك أخي المسلم أمام الله؟ وقد وهبك الصحة، ومنحك العافية، وأنت تتهاون في أداء هذه الفريضة العظيمة.

يقول إبراهيم التيمي - رحمه الله -: "إذا رأيت الرجل يتهاون في التكبيرة الأولى فاغسل يدك منه"[٢] .

فمن يتهاون بالتكبيرة الأولى، فإن في قلبه مرض، وعنده ضعف إيمان، فعليه بالتوبة، والرجوع إلى الله.

ويبيّن لنا المصطفى ﷺ أهمية التبكير إلى الصلاة، والوعيد الشديد لمن يتهاون في ذلك بقوله: "لا يزال قوم يتأخرون عن الصف الأوّل حتى

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٢٠/٥.

(٢) المرجع السابق ٦٢/٥.



يؤخرَهم الله في النار"[١] .

فهل تريد أخي أن يؤخرك الله في عذاب جهنم؟ بالطبع الكلّ لا يريد ذلك. إذن احرص بارك الله فيك على التبكير، والتقدم للصلاة، حتى لا يطالك الوعيد بالتأخر في النار.

ويقول ﷺ مؤكدًا على أفضلية التكبيرة الأولى: "من صلى لله أربعين يومًا في جماعة يدرك التكبيرة الأولى؛ كتبت له براءتان: براءة من النفاق، وبراءة من النار"[٢] .

أعاذنا الله وإياكم من النفاق، وأنجانا من النار إنه جواد كريم.



(١) رواه أبو داود، صحيح الجامع ١٢٧٣/٢ رقم ٧٦٩٩.

(٢) رواه الترمذي، صحيح الجامع ١٠٨٩/٢ رقم ٦٣٦٥.

الكلمة الثانية عشرة

هاهي الفرصة قد أتتك

يقول الرسول ﷺ : "رغم أنفَ رجل دخل عليه رمضانُ ثم انسلخ قبل أن يغفر له"[١] ، ومعنى رغم أنفه، أي: التصق بالرَّغام وهو التراب، فهو دعاءٌ من النبي ﷺ بالذّل والصّغَار للذي يدخل عليه رمضان ويخرج، ولم يعمل من الصالحات، ولم يزدد من الطاعات. ذلك الإنسان المقصّر، والمضيع والذي تأتيه الفرص، وتمر عليه المواسم والمناسبات، ولا يستفيدَ منها، ولا يغتنمها.

فلو أن سوقًا من الأسواق عَمِلَ تخفيضات موسمية، لتسابق الناس وتراكضوا زرافات ووحدانا، والكل يبشّر الآخر ويخبره بهذه التنزيلات، كي لا تضيع الفرصة، إذًا كيف بنا ونحن أيها الأخوة، في موسم عظيم، ومناسبة شريفة جديرة بالاهتمام والتقدير، قد لا يستطيع الإنسان تعويضها إذا فاتته.

لذا يقول ﷺ: "إذا جاء رمضان فتّحت أبواب الجنة، وغلّقت أبواب النار، وصفّدت الشياطين"[٢] .

إذا لم تغتنم هذه الفرصة بالتزود بالأعمال الصالحة، فمتى تغتنمها؟

إذا لم ترجع إلى الله وتتوب في هذا الشهر فمتى ترجع إليه سبحانه؟

أتتوب إلى الله عندما تأتي سكرة الموت وتغرغر!؟ أترجع عندما تُلّف بتلك الخرقة البيضاء، وتوضع في حفرتك!؟ أم ترجع إلى ربك حينما يبعثر ما في القبور، ويحصّل ما في الصدور!؟ أم أنك ستتوب عندما يخرج الناس من قبورهم!؟ أم تتوب عندما يؤتى بجهنم، ولها سبعون ألف زمام (أي مقبض) على كل زمام سبعون ألف ملك يجرّونها، فهو يوم مهول، وفيه كرب عظيم، لعظم هذه النار، التي تزفر، وتتفجر غضبًا على العصاة والمجرمين والكفرة، يقول تعالى: ﴿ **وَجِيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ * يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي** ﴾[٣] عندها يتذكر الإنسان، يرجع إليه عقله، وصوابه، ويمرّ عليه شريط حياته، فيتذكر الأيام الخوالي، وما قصّر فيها، وما ضيّع من الأوقات، فيتندم، ويتحسر، ويتألم، ولكن، وأنى له الذكرى؟ لا تنفع الذكرى، لأنها يقظة



(١) رواه الترمذي والحاكم صحيح الجامع ٦٥٩/١ رقم ٣٥١٠.

(٢) البخاري ١٨٩٩، مسلم ١٠٧٩ ..

(٣) سورة الفجر، الآيتان (٢٣، ٢٤).



وصحوة جاءت متأخرة، فلا تفيد ولا تجدي، إذ ليس هذا محلها.

لماذا نتوب، لماذا نحث وننصح بالتوبة لعدة أمور:

أولاً: أن الله أمرنا بالتوبة في آيات كثيرة ﴿**وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ (١).

ثانيًا: أن التوبة محبوبة إلى الله ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ**﴾ (٢). ويقول ﷺ: "ولله

ثالثًا: أن الإنسان لابد أن يتوب لأنه فقير إلى الله ولا يدري ما يعرض له.



(١) سورة النور، آية (٣١).
(٢) سورة البقرة، آية (٢٢٢).

الكلمة الثالثة عشرة

نماذج مشرقة للسلف في محافظتهم على الصلاة وحبهم لها

هذا إبراهيم بن ميمون المروزي؛ كانت مهنته الصياغة، وطَرْق الذهب والفضة، فكان إذا رفع المطرقة فسمع النداء للصلاة لا يردّها، أي أنه يُوقف عمله ويذهب إلى الصلاة.

ويقول سعيد بن المسيب - التابعي الجليل -: "ما أذّن المؤذن من ثلاثين سنة إلاّ وأنا في المسجد".

وقال وكيع بن الجراح: اختلفت إلى الأعمش (سليمان بن مهران) قريبًا من سنتين؛ ما رأيته يقضي ركعة.

وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا فاتته صلاة العشاء في جماعة، أحيا بقيّة ليلته[١]. وكأنه رضي الله عنه يعاقب نفسه بذلك.

وعن ربيعة بن يزيد الإيادي - رحمه الله - أنه قال: "ما أذّن المؤذن لصلاة الظهر منذ أربعين سنة إلاّ وأنا في المسجد، إلاّ أن أكون مريضًا أو مسافرًا.

وكان المزني - رحمه الله - إذا فاتته صلاة الجماعة، صلى تلك الصلاة خمسًا وعشرين مرّة.

ويقول محمد بن سماعة بن عبيد الله التيمي - قاضي بغداد -: "مكثت أربعين سنة لم تفتني التكبيرة الأولى، إلا يوم ماتت أمي، فصليت خمسًا وعشرين صلاة، أريد التضعيف". مع أنه يكفي أن يصليها مرة واحدة، ويعطيه الله عز وجل الأجر المضاعف على نيته، ولكن هكذا بلغ بهم اجتهادهم، وأخذهم على أنفسهم.

وهذا عامر بن عبدالله بن الزبير - وهو من كبار التابعين - سمع المؤذن لصلاة المغرب، وكان في سكرات الموت، فقال لمن حوله: خذوا بيدي إلى المسجد، فقالوا له: إنك عليل، قال: أسمع داعي الله فلا أجيبه؟ فأخذوا بيده، فدخل مع الإمام في الصلاة، فركع ركعة ثم مات رحمه الله [٢].

وهذا عدي بن حاتم رضي الله عنه يقول: "ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلاّ وأنا على وضوء" وقال: "ما دخل وقت صلاة حتى أشتاق إليها" [٣].

فأسأل الله أن يجعلنا من المسارعين إلى الصلوات في أوقاتها.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣/٢٣٥ .
(٢) سير أعلام النبلاء ٣/٢٢٠ .
(٣) المرجع السابق ٣/١٦٤ .

الكلمة الرابعة عشرة

مواقف من حياة النبي ﷺ

أذكر موقفان من خلالهما نعرف شيئًا من حياة النبي ﷺ وكيف يكون في بيته، ويعيش مع أهله، نستلهم منها العبر، فنشم عبيرها ونسيمها، ونتذوق حلاوتها وطعمها:

الموقف الأول: تقول عائشة رضي الله عنها: "كان رسول الله ﷺ يعطيني العظم فأتعرّقُه [١] ثم يأخذه فيديره حتى يضع فاه على موضع فمي"[٢].

فلننظر ولنتأمل كيف يلاطف النبي ﷺ أهله، ويدخل السرور على قلوبهم؟ وكيف يعاشر أهله بالمعروف؟ فهو القدوة، وهو الأسوة الذي يجب علينا أن نتأسى ونقتدي به، في تعاملنا مع زوجاتنا وأبنائنا.

الموقف الثاني: وعنها أيضًا رضي الله عنها: "أن النبي ﷺ كان إذا خرج أقرع بين نسائه، فطارت القرعة لعائشة وحفصة، وكان ﷺ إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث، فقالت حفصة: ألا تركبين الليلة بعيري تنظرين وأنظر، فقالت: بلى، فركبت، فجاء النبي ﷺ إلى جمل عائشة وعليه حفصة، فسلّم عليها، ثم سار حتى نزلوا، وافتقدته عائشة، فلما نزلوا جعلت رجليها بين الأذخر، وتقول: يا رب سلّط عليها عقربًا، أو حيّة تلدغني، رسولك، ولا أستطيع أن أقول له شيئًا"[٣].

في هذا الحديث: يتضح لنا فيه عدل النبي ﷺ بين زوجاته، وطيب قلب عائشة وأنها على نياتها، ولا تعلم ما تدبر لها حفصة رضي الله عنهن، فلما علمت بما فعلته لها، تألمت وغارت من هذا الفعل وأخذت تدعو على نفسها بالموت، كيف استأثرت تلك بالنبي ﷺ، مع أنها هي الأحق، ولم تستطع أن تصنع شيئًا سوى أنها رجعت على نفسها تلومها وتدعو عليها.



(١) أتعرّقه أي: آخذ اللحم بأسناني.

(٢) مسلم ٣٠٠.

(٣) البخاري ٥٢١١، مسلم ٢٤٤٥.



الكلمة الخامسة عشرة

نماذج مشرقة لبعض السعداء

لو فتحنا صفحة من صفحات التاريخ ونظرنا فيها إلى صحابي جليل عاش مرارة العذاب وتكبد قسوة الألم وشدة الأذى. نعم لقد عرفتموه إنه بلال بن رباح مؤذن الرسول ﷺ من السابقين للإسلام، ممن عذّب في سبيل الله فمزج مرارة العذاب، وحرارة السياط مع حلاوة الإيمان فتغلبت حلاوة الإيمان ولذّة الاستقرار النفسي، فأصبح يتقلب في أروقة السعادة.

ألبسوه أدرع الحديد، وصهروه في الشمس، وأخذوا يطوفون به في بطاح وشعاب مكة وهو صابر محتسب ويقول: أحدٌ، أحدٌ [إنها السعادة الحقيقية لذة الطاعة والعبادة والقرب من الله].

وفي أسد الغابة (١) وأصله في مسلم (٢) أن النبي ﷺ قال لبلال: "بم سبقتني إلى الجنة، ما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي، فقال: ما أذّنت قط إلا وصليت ركعتين، ولا توضأت إلا ركعت بعدهما ركعتين".

لذلك لما احتضر بكت عليه زوجته وقالت: واويلاه، فقال: بل وافراحاه غدًا نلقى الأحبّة محمدًا وحِزْبه.

هذا نموذج واحد من الصحابة ويوجد الكثير من النماذج في حياة الصحابة والتابعين ﷺ، ولكني سأنتقل إلى بعض المعاصرين في واقعنا المعاصر:

كان ستيفن مطرب غربي، بريطاني اشتهر في السبعينيات الميلادية، حتى أصبح اسمًا لامعًا في الغناء الماجن، وغدا هدفًا لمصممي الإعلانات، تباع له الاسطوانات في اليوم الواحد بالملايين، ومع ذلك ما عرف السعادة والراحة إلاّ بعد أن نطق بالشهادتين، وغيّر اسمه إلى "يوسف إسلام" وهو الآن علم من أعلام الدعوة في بلده، وداعية من المشهورين.

قال أبو سليمان الداراني: أهل الطاعة في طاعتهم، ألذ من أهل اللهو بلهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا.

لذلك يقول سبحانه: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ (٣) ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ قال بعض العلماء معناها: لنرزقنّه طاعة

---

(١) ٢٤٥/١ .
(٢) مسلم ٢٤٥٨ .
(٣) سورة النحل، آية (٩٧).

يجد لذتها في قلبه.

وهذا قسيس يدعو إلى النصرانية الباطلة اسمه "محمد شريف"، درس ديانات كثيرة، لكنه لم يدرس الإسلام يقول: كنت أظن أن المسلمين وثنيون يعبدون الهلال في السماء، ويقول: كنت مغتاظًا وأشعر بالحسد تجاه السعوديين لأنهم البلد الوحيد الذي لم يقبل المسيح. فأخذ على نفسه أن يأتي إلى هذه البلاد للتنصير، وكان العائق الوحيد هو اللغة العربية فأخذ سنة يتعلم اللغة العربية، وأخذ في البحث عن ترجمة للقرآن الكريم لا ليسلم وإنما ليبحث فيه – بزعمه – عن التناقضات لكي يدعو المسلمين للتشكيك في دينهم، وفعلاً حصل على نسخة لترجمة معاني القرآن فأخذ يقرأ الفاتحة وشيئًا من سورة البقرة، وأحس براحة تسري في جسده وطمأنينة تملأ جوانح قلبه ونام تلك الليلة كأول ليلة مريحة ينامها في حياته، وتاقت نفسه للإسلام، وعندما نطق بالشهادتين في المحكمة أدرك أنه أضاع وقتًا طويلاً من حياته في ضلالات وانحرافات، ومن الأسبوع الأول من إسلامه استطاع أن يسلم على يديه ثلاثة أشخاص وأحس بالسعادة والطمأنينة في حياته حتى أصبح داعية رسميًا في أحد مكاتب توعية الجاليات.





الكلمة السادسة عشرة

صور رائعة من المسارعة إلى الخيرات

لقد كان ﷺ مثالاً أعلى في المسارعة إلى الخير، فعن أبي سروعة عقبة بن الحارث رضي الله عنه، قال: "صليت وراء النبي ﷺ بالمدينة صلاة العصر، فسلّم ثم قام مسرعًا، فتخطى رقاب الناس إلى بعض حُجر نسائه، ففزع الناس من سرعته، فخرج إليهم، فرأى أنهم قد عجبوا من سرعته، قال: ذكرت شيئًا من تبرٍ (الذهب المكسور) عندنا فكرهت أن يحبسني، فأمرت بقسمته" [١].

خشي النبي ﷺ أن تحبسه هذه الأمانة يوم القيامة، فبادر إلى توزيعها، والتصدق بها.

وهذا أبو الدحداح الأنصاري، لما نزل قول الله تعالى: ﴿ **مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً** ﴾ [٢] قال للرسول ﷺ: وإنَّ الله ليريد منَّا القرض؟ قال عليه الصلاة والسلام: نعم يا أبا الدحداح، قال: أرني يدك يا رسول الله، فناوله النبي ﷺ يده، فقال أبو الدحداح: إني قد أقرضت ربي عز وجل حائطي (أي بستاني)، وكان فيه ٦٠٠ نخلة) وأم الدحداح فيه وعيالها، فناداها: يا أم الدحداح، قالت: لبيك، قال: أخرجي من الحائط: يعني: أخرجي من البستان فقد أقرضته ربي عز وجل. وفي رواية: أن امرأته لما سمعته يناديها عمدت إلى صبيانها تخرج التمر من أفواههم، وتنفض ما في أكمامهم. تريد بفعلها هذا الأجر كاملاً غير منقوص من الله. لذلك كانت النتيجة لهذه المسارعة أن قال النبي ﷺ "كم من عقٍ رداح (أي: مثمر وممتلئ) في الجنة لأبي الدحداح[٣]".

وأبو طلحة الأنصاري جاء إلى النبي ﷺ، فقال يا رسول الله: يقول الله تبارك وتعالى في كتابه: ﴿ **لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾ [٤] وإنّ أحب أموالي إليّ بَيْرُحاء، وكانت حديقة يدخلها النبي ﷺ، ويستظل بها، ويشرب من مائها، فهي إلى الله عز وجل، وإلى رسوله ﷺ، أرجو برّها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال ﷺ: بخ يا أبا طلحة، ذاك مال رابح، ذاك ما رابح، قبلناه منك، ورددناه عليك، فاجعله في

---

(١) البخاري ٨٥١ .
(٢) سورة البقرة، آية (٢٤٥).
(٣) مسند الإمام أحمد ١٧٩/٣ رقم ١٢٤٩٠، المعجم الكبير للطبراني ٣٠٠/٢٢ رقم ٧٦٣ .
(٤) سورة آل عمران، آية (٩٢).



الأقربين، فتصدق به أبو طلحة على ذوي رحمه[١].

وهذه صورة مشرقة، ولوحة رائعة يزيّنها مسارعة الصحابة، ومبادرتهم إلى فعل الخيرات. فعند الترمذي يقول عمر بن الخطاب ﵁: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، ووافق ذلك مني مالاً، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر. قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ فقلت: مثله. وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال ﷺ له: ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قال عمر: "لا أسبقه إلى شيء أبدًا"[٢].

وإذا كانت النفوس كبارًا تعبت في مرادها الأجسام

ويقول الآخر:

من لي بمثل سيرك المدلل تمشي رويدًا وتجيء في الأوّل

ومسارعة أبي بكر معروفة، ومواقفه مشهودة ومشهورة، ففي صحيح مسلم، أنه ﷺ قال: من أصبح منكم اليوم صائمًا؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا! قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟ قال أبو بكر: أنا! قال: فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟ قال أبو بكر: أنا! فقال ﷺ: "ما اجتمعن في امرئ إلاّ دخل الجنّة"[٣].

ويترجم الصحابي الجليل عدي بن حاتم المسارعة إلى الخير بشكل آخر، وبصورة بديعة فيقول: "ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلاّ وأنا على وضوء" وقال: "ما دخل وقت صلاة إلاّ وأنا أشتاق إليها" هذا الصحابي مكث فترة زمنية ليست بالهيّنة يجاهد نفسه على طاعة الله حيث إنه أسلم في السنة السابعة للهجرة، وتوفي سنة ٦٨هـ، وعاش ١٨٠سنة وقيل ١٢٠سنة.

وانظر يا رعاك الله إلى عامر بن عبدالله بن الزبير من كبار التابعين، وهو في مرض موته، يسمع المؤذن لصلاة المغرب، فيقول لمن حوله: أحملوني إلى المسجد، قالوا له: أنت عليل، قال: أسمع داعي الله فلا أجيبه، فأدخلوه في الصف مع الإمام، فركع ركعة ومات وهو يصلي[٤].

وأخيرًا هذا التابعي الجليل محمد بن سيرين يسابق الزمان، ويلاحق اللحظات، ويسارع إلى الخيرات: كان يدخل إلى السوق نصف النهار، فيكبّر الله، ويسبّحه، ويذكره، فيُسأل عن ذلك، فيقول: إنها ساعة غفلة



(١) البخاري ١٤٦١، مسلم ٩٩٨ .
(٢) أبو داود ١٦٧٨، الترمذي ٣٦٧٥ .
(٣) مسلم ١٠٢٨ .
(٤) سير أعلام النبلاء ٥/٢٢٠.



الناس.

اللهم أيقظنا من رقدات الغفلة، واستعملنا في طاعتك.





الكلمة السابعة عشرة

من صور الزهد عندنا

يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في تعريف الزهد: "هو ترك ما لا ينفع في الآخرة"[١] لكننا نجد أن الزهد عند بعض الناس هو: "ترك ما ينفع في الآخرة" فالذي ينفعنا في الآخرة، نزهد فيه، ونتركه، ولا نبالي به؛ فعندنا أيها الإخوة زهد في الحسنات، ومن صوره:

١- الزهد في كتاب الله: فبعض الأخوة، يقرأ الجريدة من أوّل ورقة إلى آخر ورقة، والمجلة من الغلاف إلى الغلاف، وإذا قرأ في المصحف وجهين أو ثلاثة، تبرم، وتململ، ودبّ النعاس إليه؛ فيغلقه.

٢- الزهد في صلاة التراويح: مع أن هذا الشخص الذي انصرف من صلاة العشاء وترك التراويح، يقف مع زميله يتحدث عند باب المسجد نصف ساعة أو أكثر، لا يفتر ولا يتضايق.

٣- الزهد في سماع الكلمة بعد الصلاة: وهذا مشاهد، ويُرى كثيرًا، فما إن يقف أحد الدعاة يتكلم ناصحًا وموجّها، حتى يهرب بعض الناس من المسجد، وكأنه لو جلس للسماع يحس تحت قدميه جمرًا يغلي منه، مع أنه غير مشغول، وليس لديه أي عمل.

اللهم أيقظنا من رقدات الغفلة، واستعملنا في طاعتك، ووفقنا لاغتنام الأوقات، في القربات، وأعمال الصالحات.



(١) نقله عنه تلميذه ابن القيم – رحمه الله – في مدارج السالكين ٢/ ٨ .

الكلمة الثامنة عشرة

لا تحقرن من المعروف شيئًا

نقف وقفة بسيطة نستضيء فيها بنور آيتين من كتاب الله طالما سمعناها تتلى علينا، وطالما قرأناها، ولكن البعض منا لم يقف عندها ليتأمل، أو يتفكر ويتدبر. يقول سبحانه: ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ**﴾[١].

وفي موطأ مالك[٢]: أن مسكينًا استطعم [٣] عائشة رضي الله عنها وبين يديها عنب فقالت لإنسان عندها: خذ حبة فأعطه إياها، فجعل ينظر إليها ويعجب فقالت رضي الله عنها ـ الفقيهة العالمة ـ: "كم ترى في هذه الحبة من مثقال ذرة؟".

والذرّة[٤] ضربت في الآية مثلاً لكي يعقل الناس ذلك، فالله سبحانه وتعالى يحاسب الإنسان على القليل والكثير، إذن على المسلم أن يعلم علم اليقين أن العمل إذا كان لله مهما كان قليلاً فإن الله يقبله.

قال ﷺ : "لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق" [٥].

وسأسرد بعض الأحاديث والتي فيها أعمال قليلة يجازي الرب سبحانه عليها بالكثير:

قال ﷺ: "بينما رجل يمشي بطريق، وجد غصن شوك على الطريق فأخّره، فشكر الله له، فغفر له"[٦] . وهذا الفعل وإن كان قليلاً لكنه لا يضيع عند الله، وهو من محاسن الأعمال، ففي الحديث: أنه ﷺ قال: عُرضت عليّ أعمال أمتي حَسَنُها وسيئُها، فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق" [٧].

قال ﷺ: "إن رجلاً لم يعمل خيرًا قط غير أنه إذا جاء عمّاله يأخذون الأموال من الناس ووجدوا معسرًا قال: تجاوزوا عنه علّ الله أن يتجاوز

---

(١) سورة الزلزلة ، الآيتان (٧-٨) .
(٢) موطأ مالك برواية (أبي مصعب الزهري) ١٧٦/٢ رقم ٢١٠٦.
(٣) طلب منها طعامًا.
(٤) قيل بأن الذرة: رأس نملة حمراء، وقيل: اليسير من التراب، وقيل: الخردلة. لكن الذرة ضربت مثلاً لما يُعقل. زاد المسير ٥٢/٢.
(٥) مسلم ٢٦٢٦ .
(٦) البخاري ٦٥٢، مسلم ١٩١٤ .
(٧) مسلم ٥٥٣ .



عنا، فتجاوز الله عنه"[١].

ويقول ﷺ: "بينما كلب يُطيف بِرَكيّة[٢] قد كاد يقتله العطش، إذ رأته بغيّ من بغايا بني إسرائيل فنزعت مُوقها [٣] ، فاستقت لـه بـه، فسقته إياه، فَغُفر لها به"[٤].

فلا يحتقر المسلم أي معروف ولو كان يسيرًا، فتمشي في حاجة أخيك، تُنظر معسرًا، تُيسّر على إنسانٍ أمرًا من أمور حياته، أو تشفع له شفاعة لا تضر بها أحدًا، تجده ـ مثلاً ـ متعطلاً في الطريق فتعينه وتساعده، أشياءً كثيرة من هذا القبيل لا حصر لها.

وأخيرًا: في المقابل لا تحتقر العمل السيء وإن كان قليلاً فإنّ عاقبته وخيمة، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (عُذبت امرأة في هرّة سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها ولا سقتها إذْ هي حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض) [٥] .



---

(١) البخاري ٢٠٧٨، مسلم ١٥٦٢ .

(٢) أي: بئر.

(٣) أي: خُفّها.

(٤) البخاري ٣٤٦٧، مسلم ٢٢٤٤ .

(٥) البخاري ٣٤٨٢، مسلم ٢٢٤٤٢ .



الكلمة التاسعة عشرة

وقفة تـأمل

تأمل أخي الكريم في صورتك! وقف مع نفسك وقفة رجل حكيم، فمن الذي ركبّك على هذه الصورة؟ ومن الذي خلقك على هذه الهيئة؟ فما أجمل منظرك! وما أبهى وأحسن صورتك العينان، في الوجه، والأنف بينهما، واليدان في الجانبين، والقدمان تمشي عليهما من أسفل، فكيف بالله عليك لو أنّ عينا نبتت لأحدنا في ركبته؟ أو يدًا ظهرت له في رأسه، أو كيف بأنف برز في ظهره؟

فكيف سيكون حال الشخص لو أن خَلْقه كان كذلك!؟

فسبحان الله الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى، والذي أخرج المرعى.

تأمل إلى حال امرأة إنجليزية كافرة ذكر أنها أبشع امرأة في العالم، فتمنت أن تتزوج وترزق بالولد، فتحققت أمنيتها، فتزوجها رجل لا من أجل سواد عينيها، ولكن لكي يقال أنه تزوج بأبشع امرأة في العالم، ويدخل في موسوعة (غينيس العالمية) ثم تمنت هذه المرأة أن تحظى بمولود يكون أقل منها بشاعة فحملت، والأماني تراودها بأن يكون وليدًا سليمًا حسن الخَلْق. ولكن الله قدّر أن يكون أكثر منها قبحًا، فلما رأته صرخت من هول ما رأت، فماتت لساعتها، ولم يلبث وليدها إلاّ ساعات ثم لحق بها.

فلله الحمد والمنة على سلامة الخَلْق، وحسن الخُلُق. والجاحظ الأديب المعروف عمرو بن بحر أبو عثمان كان دميم الخِلقة لكنه من الأذكياء، كان يمشي ذات يوم في أحد الأسواق، فرأى امرأة تشير إليه عند أحد الصاغة، فأتى إلى الصائغ، فسأله عن ذلك قال إن هذه المرأة التي رأيت، طلبت مني أن أصنع لها خاتمًا له فص على هيئة رأس شيطان فقلت لها: لا أعرف ذلك، فأشارت إليك تعني مثل هيئتك.

فالواحد منا عليه أن يحمد الله على حُسن الخِلْقة، وجمالها، ويشكر ربه على بديع تركيبه، ويستعمل ذلك في طاعته سبحانه.





الكلمة العشرون

ما هي اهتماماتنا؟

قال الصحابي الجليل وأمير المؤمنين والخليفة الزاهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذا يوم لأصحابه تمنّوا، فقال أحدهم: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت دراهم أنفقها في سبيل الله، قال: تمنوا، قال آخر: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت جواهر أو نحوه فأنفقه في سبيل الله، فقال عمر: تمنوا، فقالوا: ما تمنينا بعد هذا، قال عمر: لكني أتمنى أن يكون ملء هذا البيت رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان، فأستعملهم في طاعة الله (١).

هكذا أيها الأخوة كانت أمنيات واهتمامات الصحابة تنصب في مجال واحد هو: السبيل والطريق الذي يقرّبهم إلى الله عز وجل، واهتمامهم كان في نصرة هذا الدين.

وللنظر إلى لون آخر من اهتمامات ذلك الجيل الفريد مع عويمر بن عامر بن قيس الأنصاري الخزرجي (أبو الدرداء رضي الله عنه) كان إذا صلى في الليل، وجاء في الوتر يدعو لـ ٣٦٠ رجلاً ممن يحبهم، كان يدعو لهم بأسمائهم في صلاته وقت السحر.

وانظر يا رعاك الله وتأمل إلى هذا الفتى الصغير ما هو اهتمامه؟ عمير بن أبي وقاص أخو سعد رضي الله عنهما: كان اهتمامه في الشهادة، همّه أن يضحي بتلك الروح التي بين جنبيه في سبيل الله. فيخرج يوم بدر وكان صغيرًا أقل من ١٥ سنة، فأخذ يتوارى عن أنظار النبي صلى الله عليه وسلم، لا يريد أن يراه كي لا يمنعه من المشاركة، فرآه أخوه سعد فقال له: مالك يا أخي، قال: إني أخاف أن يراني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستصغرني فيردني، وأنا أحب الخروج علّ الله أن يرزقني الشهادة، فعرض على النبي صلى الله عليه وسلم فاستصغره ورده، فلما بكى رأف عليه الصلاة والسلام بحاله وأجازه. حتى إن سعداً ليعقد له حمائل السيف. وقتل رضي الله عنه في الغزوة، فيبكي سعد ويقول: سبقني على الجنة.

وهذا أبو بكر رضي الله عنه لما أسلم حرص على هداية وإسلام مجموعة من الصحابة منهم عثمان وعبدالرحمن بن عوف وسعد والزبير وطلحة رضي الله عنهم جميعًا. وانظر أيضًا إلى صحابي صغير كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم، وهو ربيعة بن كعب الأسلمي فقال له صلى الله عليه وسلم: "سل حاجتك، قال: أسألك مرافقتك في

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ١/١٤.



الجنة". لم يهتم بأمور الدنيا الزائلة، وإنما كان يفكر في الآخرة لأنها هي الباقية، فقال عليه الصلاة والسلام أو غير ذلك يا ربيعة؟ قال: هو ذاك يا رسول الله. قال: أعني على نفسك بكثرة السجود [١].

وهذا زين العابدين علي بن الحسين رحمه الله تعالى لما وضعوه ليغسّل وجدوا على جسده آثار ندوب وجروح، فاستغربوا من ذلك، فلما سألوا وجدوا أنه قد تكفل بإعالة مائة بيت من بيوتات المسلمين يحمل لهم الماء والزيت والدقيق، وإذا بهؤلاء بعد موته يخرجون يسألون الناس.

وأخيرًا: يقول الإمام الكيلاني وهو يربي غلامه: "يا غلام لا يكن همّك ما تأكل وما تشرب وما تلبس وما تنكح، وما تسكن وما تجمع، كل هذا همّ النفس والطبع، فأين همّ القلب"[٢] .

فأين نحن من هؤلاء؟



(١) مسلم ٤٨٩ .

(٢) بصائر تربوية د. عمر الأشقر ص١٣٧.

الكلمة الواحدة والعشرون

اللهم أحسن ختامنا (١)

هذه صورة رائعة، ومشرقة لرجالٍ صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فأحسن لهم سبحانه الختام:

-لما مرض أنس بن مالك ت ٩٣هـ ﵁ خادم النبي ﷺ قالوا له: ألا ندعو لك طبيبًا؟ قال: الطبيب أمرضني، وجعل يقول: لقّنوني لا إله إلا الله، وهو يحتضر، فلم يزل يقولها حتى قبض، وكانت عنده عصا من رسول الله ﷺ، فأمر بها فدفنت معه.

-وزرارة بن أوفى العامري ـ قاضي البصرة ت ٩٣هـ ـ قرأ مرة في صلاة الصبح سورة المدثر؛ فلما بلغ قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ** ﴾[١] خرّ ميتًا.

-والإمام الجنيد بن محمد ت ٢٩٨هـ، لما حضرته الوفاة جعل يصلي، ويتلو القرآن، فقيل له: لو رفقت بنفسك في مثل هذه الحال؟ قال: لا أحد أحوج إلى ذلك مني الآن، وهذا أون طيّ صحيفتي. رحمه الله.

وأبو الحسن الأصبهاني علي بن سهل بن الأزهر ت ٣٠٨هـ، وكان مترفًا ضائعًا، ثم صار زاهدًا عابدًا، يبقى الأيام الطويلة صائمًا، وكان يقول: ألهاني الشوق إلى الله عن الطعام والشراب، ثم قال: أنا لا أموت كما يموتون بالأعلال والأسقام [٢] ، إنما هو دعاء وإجابة، أدعى فأجيب، فكان كما قال، بينما هو جالس في جماعة، إذ قال: لبيك ووقع ميتًا. لقد استجاب الله دعاءه، وحقق أمنيته كما حقق أمنية الصحابي الأصيرم الذي أسلم في غزوة بدر أو أحد، فكلّمه النبي ﷺ عن نصيبه من الغنيمة، فقال: يا رسول الله لم أبايعك على هذا، وإنما بايعتك على سهم يدخل من هاهنا ـ وأشار إلى رقبته ـ ويخرج من هاهنا ـ وأشار إلى الطرف الآخر ـ فقال ﷺ: إن تصدق الله يصدقك. فكان كما قال، فوجد مقتولاً شهيدًا كما تمنى على الله.

وهذا محمد بن أحمد بن إسماعيل المعروف بخير النسّاج ت ٣٢٣هـ، لما حضرته الوفاة، نظر إلى زاوية البيت، فقال: رحمك الله، فإنك عبد مأمور، وأنا عبد مأمور، وما أمرت به لا يفوت، وما أمرت به يفوت ثم قام فتوضأ وصلى وتمدد ومات ـ رحمه الله ـ ورؤي في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: استرحنا من دنياكم الوخيمة.

---

(١) سورة المدثر، آية (٨) .

(٢) لو مات المسلم في علته ومرضه واحتسب ذلك، فإنه يكون شهيدًا بإذن الله.



وأبو سعيد الإسماعيلي ت ٣٩٦هـ، توفي وهو قائم يصلي في المحراب في صلاة المغرب، لما قرأ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [(١)]فاضت روحه.

والإمام الحافظ أبو الوليد عبدالله بن محمد بن نصر الأزدي، كان يسأل الله الشهادة في سبيله دائمًا، فوقف عند أستار الكعبة يدعو بالشهادة، فقتل على يد البربر سنة ٤٠٣هـ، وسمعوه يقرأ الحديث الصحيح "ما يُكلَم أحد في سبيل الله ـ والله أعلم بمن يكلم في سبيله ـ إلا جاء يوم القيامة، وكَلْمُه (أي جرحه) يدمي، اللون لون الدم، والريح ريح المسك"[(٢)].

وانظر إلى محمد بن عبدالله أبو بكر العامري المعروف بابن الخباز الواعظ ت ٥٣١هـ، بنى رباطًا للجهاد في سبيل الله، ومعه بعض الصالحين، فلما احتضر أوصاهم بتقوى الله، والإخلاص لله، فلما انتهى عَرق جبينه، ومدّ يده، وقال بيتًا من الشعر:

ها قد بسطتُ يدي إليك فردّها بالفضل لا بشماتة الأعداء

ثم قال: أرى المشايخ بين أيديهم الأطباق، وهم ينتظرونني ثم مات رحمه الله .

وبالله التوفيق،،،



(١) الفاتحة، آية (٥).
(٢) البخاري ٢٣٧ .

الكلمة الثانية والعشرون

اللهم أحسن ختامنا (٢)

وهذا مجاهد بن جبر أبو الحجاج، مولى السائب بن السائب المخزومي، أحد أئمة التابعين والمفسرين، ومن أكابر تلاميذ ابن عباس رضي الله عنهما، مات وهو ساجد في الصلاة سنة ١٠٠هـ.

وإبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي ت ١٦٢هـ توفي في جزيرة من جزائر بحر الروم وهو مرابط، فقد ذهب إلى الخلاء ليلة موته نحوًا من عشرين مرة، وكان في كل مرّة يجدد الوضوء، فلما غشيه الموت قال: أوتروا لي قوسي، فأوتروه فقبض عليه الموت، وهو قابض على قوسه يريد الرمي به إلى العدو. فرحمه الله وأكرم مثواه.

وهذا الإمام الشيخ العماد أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالواحد بن علي بن سرور المقدسي ت ٦١٤هـ كان عابدًا زاهدًا ورعًا كثير الصيام، يصوم يومًا، ويفطر يومًا، صلّى المغرب ذات ليلة، وكان صائمًا، ثم رجع إلى منزله بدمشق فأفطر ثم مات فجأة. رحمه الله. ولما دفن، قال سبط ابن الجوزي: فلما رجعت تلك الليلة فكرت فيه، وفي جنازته وكثرة من شهدها، وقلت: هذا كان رجلاً صالحًا، ولعله أن يكون نظر إلى ربه حين وضع في قبره، ومرّ بذهني أبيات الثوري التي أنشدها بعد موته في المنام:

نظرت إلى ربي كفاحًا فقال لي ... هنيئًا رضائي عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قوّامًا إذا أظلم الدجى ... بعبرة مِشتاقٍ وقلب عميدِ
فدونك فاختر أي قصر أردته ... وزرني فإنّي عنك غير بعيد

ثم قلت: أرجو أن يكون العماد رأى ربه كما رآه الثوري، فنمت فرأيت الشيخ العماد في المنام، وعليه حلّة خضراء، وعمامة خضراء، وهو في مكان متسع، كأنه روضة، وهو يرقى في درج متسعة، فقلت: يا عماد الدين كيف بت فإني والله مفكّر فيك؟ فنظر إلي وتبسّم ثم قال:

رأيت إلهي حين أنزلتُ حفرتي ... وفارقت أصحابي وأهلي وجيرتي
وقال جزيت الخير عنّي فإنني ... رضيتُ فها عفوي لديك ورحمتي



وأبتَ زمانًا تأمل العفو والرضا   فوُقِّيتَ نيراني ولَقِيتَ جنتي [١]

وهذا الشيخ حسن الكردي ت ٧٠٠هـ، لما احتضر، اغتسل، وأخذ من شعره، واستقبل القبلة، وقام يصلي، فركع ركعات ثم توفي رحمه الله.



(١) البداية والنهاية ١٢/١٢٦.

الكلمة الثالثة والعشرون

اللهم أحسن ختامنا (٣)

وهذا الشيخ الحافظ شرف الدين أبو محمد المؤمن بن خلف الدمياطي ت ٧٠٦هـ كان يلقي درسه أمام تلاميذه وأمام الأمراء فغشي عليه، وكان صائمًا فحمل إلى منزله فمات من ساعته.

وهذا جمال الدين محمد بن علي بن أبي منصور أبو جعفر الأصبهاني الوزير، كان كثير الصدقة والبرّ، وقد حبس في آخر حياته، فنزل إليه طائر أبيض قبل موته فلم يزل عنده وهو يذكر الله حتى توفي في شعبان سنة ٥٦٠هـ، ثم طار عنه ودفن في رباط بناه لنفسه بالموصل.

وهذا نظام الملك الوزير الحسن بن علي، كان من خيار الوزراء، كان محافظًا على الصلوات في أوقاتها، لا يشغله بعد الأذان شغل عنها. وكان يواظب على صيام الإثنين والخميس، خرج مع السلطان ملكشاه السلجوقي من أصبهان قاصدًا بغداد في مستهل رمضان سنة ٤٨٥هـ، فلما كان اليوم العاشر اجتاز في بعض طريقه بقرية بالقرب من نهاوند، وهو يسايره في سرير محمول، فقال: قد قتل ههنا خلق من الصحابة زمن عمر، فطوبى لمن يكون عندهم ـ وهذه أمنية تمنّاها ـ فاتفق أنه لما أفطر جاءه صبي في هيئة مستغيث به ومعه ورقة، فلما انتهى إليه ضربه بسكين في فؤاده وهرب، وعثر بطنب الخمية فأخذ فقتل، ومكث الوزير ساعة، وجاءه السلطان يعوده فمات وهو عنده .

وأبو بكر النقاش محمد بن الحسن بن محمد بن زياد المفسّر المقرئ، ت ٣٥٢هـ، كان رجلاً صالحًا في نفسه عابدًا ناسكًا، حكى من حضره وهو يجود بنفسه وهو يدعو بدعاء، ثم رفع صوته يقول: ﴿**لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَامِلُونَ**﴾ [1] يرددها ثلاث مرات ثم خرجت روحه ـ رحمه الله ـ.

وعبدالله بن إبراهيم بن عبدالله الخيري، ت ٤٨٩هـ. كان فقيهًا محدثًا، يكتب المصاحف بالأجرة، فبينما هو ذات يوم يكتب، وضع القلم من يده واستند، وقال: والله لئن كان هذا موتًا إنه لطيب. ثم مات رحمه الله.

ومحمد بن محمد بن عبدالله أبو الفضل السلمي الوزير الفقيه

---

(١) سورة الصافات، آية (٦١) .



والمحدّث الشاعر ت ٣٣٤هـ، كان يصوم الاثنين والخميس، ولا يدع صلاة الليل والتصنيف، وكان يسأل الله تعالى الشهادة كثيرًا، فلما ولي الوزارة قصده الجنود يطلبون أرزاقهم، فاجتمع ببابه منهم خلق كثير، فايقن بالهلاك، فاستدعى بحلاّق فحلق رأسه، وتنوّر وتطيب ولبس كفنه، وقام يصلي، فدخلوا عليه فقتلوه وهو ساجد ـ رحمه الله ـ.



الكلمة الرابعة والعشرون

اللهم أحسن ختامنا (٤)

وهذا أبو القاسم هبة الله ابن نجم الدين عبدالرحيم الجهيني الحموي، المعروف بابن البارزي، قاضي القضاة بحماة، كان حريصًا على الصلاة، كانت وفاته ليلة الأربعاء العشرين من ذي القعدة سنة ٧٣٨هـ بعد أن صلى العشاء والوتر.

وانظر إلى وفاة الحافظ جمال الدين يوسف بن عبدالرحمن أبي الحجاج المزّي لما كان يوم الجمعة ١١ صفر لسنة ٧٤٢هـ أسمع الحديث إلى قريب وقت الصلاة، ثم دخل منزله ليتوضأ، ويذهب للصلاة فاعترضه مغص عظيم في بطنه، فلم يقدر على حضور الصلاة، فصلى في بيته ظهرًا، واشتد عليه المرض، إلى ظهر السبت، فقالت له ابنته: يا أبت أذّن الظهر، فذكر الله وقال: أريد أن أصلي فتيمم وصلى ثم اضطجع فجعل يقرأ آية الكرسي حتى جعل لا يفيض بها لسانه ثم قبضت روحه بين الصلاتين رحمه الله.

وهذا شمس الدين محمد بن أحمد بن عبدالهادي المقدسي الحنبلي ت ٧٤٤هـ مرض قريبًا من ثلاثة أشهر بقرحة وحمى وسلّ، ثم تفاقم أمره وأفرط إسهال، وتزايد ضعفه إلى أن توفي قبل أذان العصر، وكان آخر كلامه أن قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين[١].

وقاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة ت ٧٦٧هـ بمكة شرّفها الله، وكان حين وفاته يقرأ القرآن، وكان يتمنى كثيرًا أن يموت وهو معزول، وأن تكون وفاته بأحد الحرمين، فأعطاه الله ما تمنى، فعزل نفسه عن القضاء قبل وفاته بسنة، وهاجر إلى مكة ومات بها.

وأبو العباس بن أحمد الطبري، قاضي طرسوس الفقيه الشافعي ت ٣٣٦هـ، كان يعظ الناس فحصل له مرة خشوع فسقط مغشيًا عليه فمات رحمه الله [٢].

---

(١) البداية والنهاية ١٤/١٦٩.

(٢) البداية والنهاية ١١/١٨٤.



وهذا حماد بن سلمة بن دينار، الإمام القدوة، كانت أوقاته معمورة بالتعبد والأوراد، كان إماماً في الحديث، كان مشغولاً إمّا أن يحدّث، أو يقرأ، أو يسبّح أو يصلّي، قد قسّم النهار على ذلك، فمات سنة ١٦٧هـ وهو قائم يصلي في المسجد [١] .



(١) سير أعلام النبلاء ٧/٤٤٤.

الكلمة الخامسة والعشرون

هل تتوقعون ؟

هل تتوقعون أعزاء القرّاء أننا أفضل من الرسول ﷺ؟! وهل ترون أننا خيرٌ منه وأحسن عملاً؟ إذاً لماذا هو ﷺ يقوم في الصلاة حتى تتفطر قدماه؟ أي حتى تتشقق وتتورم ويحس بألمها من طول القيام، وطول الصلاة، لكنه يصبر ويحتسب الأجر على الله، وأن يكون عبدًا شكورًا.

جاء عند ابن حبان في صحيحه[(١)]،عن عطاء قال: "دخلت أنا وعبيد بين عمير على عائشة رضي الله عنها، فقال عبيد بن عمير: حدثينا بأعجب شيء رأيتيه من رسول الله ﷺ فبكت، وقالت: قام ليلة من الليالي، فقال: يا عائشة ذريني أتعبد لربي، قالت: قلت: والله إني لأحب قربك، وأحب ما يسرك، قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي، فلم يزل يبكي حتى بل حجره، ثم بكى، فلم يزل يبكي حتى بلّ الأرض، وجاء بلال يؤذنه بالصلاة فلما رآه يبكي، قال: يا رسول الله تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال "أفلا أكون عبدًا شكورًا، لقد أنزلت عليّ الليلة آيات ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [(٢)] الآية.

وكان ﷺ يبكي ويُرى الدمع في عينيه خوفًا وخشية من الله سبحانه. قال ابن مسعود رضي الله عنه اقرأ عليّ القرآن، قال: يا رسول الله أقرأ عليك، وعليك أنزل؟ قال ﷺ: "إني أحب أن أسمعه من غير"، قال ابن مسعود: فقرأت عليه سورة النساء، حتى جئت إلى هذه الآية﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [(٣)] قال: "حسبك الآن" فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان[(٤)].

وعن عبدالله بن الشّخّير رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي ولصدره أزيز كأزيز[(٥)] المرجل[(٦)] من البكاء[(٧)].

فيسمع لصدره ﷺ صوت من البكاء، مثل صوت القدر الذي يغلي



(١) صحيح ابن حبان ٦/٢ رقم ٦١٩ .
(٢) سورة البقرة، آية (١٦٤).
(٣) سورة النساء ، آية (٤١).
(٤) البخاري ، ٥٠٥، مسلم ٢٤٥ .
(٥) أي صوت .
(٦) المرجل : القدر.
(٧) أبو داود ٩٠٤، النسائي ١٢١٣ .



من شدة النار، وكل هذا من تأثره ورقة قلبه، وخشيته وخوفه من المولى سبحانه.

وكان ﷺ يجتهد في العشر الأواخر من رمضان مالا يجتهد في غيره كما تقول عائشة رضي الله عنها(١).

إلى غير ذلك من الأحاديث التي تدل دلالة أكيدة وقاطعة أن على المسلم أن يقتدي بنبيه ﷺ فلا يكسل ولا يتهاون ويقصر في أمور الطاعات، وأن يجتهد في المحافظة على وقته.



(١) رواه مسلم ١١٧٥ .

الكلمة السادسة والعشرون

وقفات قصيرة

الوقفة الأولى: التفت يمينا فأنت في نعمة، وانظر شمالاً فأنت في نعمة أنت تتقلب في نعم لا تحصى ﴿**وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا**﴾ [١] مجرد التفاتك وأنت في صحة فهذه نعمة عظمى.

رأى يونس بن عبيد (من التابعين) رجلاً يشحذ الناس فقال له يونس: أتبيع بصرك بمائة ألف درهم؟ قال: لا، قال يدك اليمنى أتبيعها بمئة ألف. قال لا، قال: ويدك اليسرى وأخذ يعدد عليه نعم الله ويذكّره بها، فقال له يونس: أتشكو الحاجة وأنت عندك مئات الألوف، فاستحيا الرجل وذهب.

والفضيل بن عياض، لما قرأ قول الله ﴿**أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ**﴾ [٢] بكى فسئل عن بكائه، فقال: هل بتَ ليلة شاكرًا لله أن جعل لك عينين تبصر بهما، هل بتُ ليلة شاكرًا لله أن جعل لك لسانًا تنطق به؟

وبعض الناس يُحمل إلى المستشفى وهو في حالة يرثى لها ما ينظر لأحد، فإذا وضع على السرير وأعطي مثلا المغذي وعوفي وفتّح عينيه وإذا به يعصي الله كيف؟ إن أول ما يقع نظره على الممرضة ، ينظر إليها بتمعن، وليس نظر الفجاءة، فيقول لنفسه: والله ما أحلاها، وهذا جسمها ما أزينه. نسأل الله العافية.

الوقفة الثانية: راقب المولى سبحانه في حياتك كلها، واتق الله أينما كنت خاصة في عملك، فقبل أن تَخَفْ من رئيسك، فخف ممن يرى دبيب النملة السوداء على الصفاة الصماء في ظلمة الليل البهيم.

يروى أن عبدالله بن عمر مرّ على راعي غنم، فقال ابن عمر: بعني شاة، قال: لا أستطيع أنا مملوك، فقال ابن عمر: قل أكلها الذئب قال الراعي: فأين الله؟ فأخذ ابن عمر: يردد أين الله؟ أين الله؟ ويبكي، فأشترى الراعي وأعتقه، واشترى له الغنم.

الوقفة الثالثة: من آداب زيارة المريض:

١- أن لا يطيل في زيارة المريض خشية الإثقال عليه.

٢- أن يكون الزائر طيب الرائحة نظيف الثوب لأنه يدخل السرور على المريض برائحته الطيبة وجمال منظره.

٣- ألا يخبر المريض بما يسوؤه من خبر.

---

(١) سورة إبراهيم ، آية (٣٤) .

(٢) سورة البلد ، الآيتان (٨-٩).



٤- إدخال السرور عليه بهدية خفيفة، وألا تكون وردًا[١].
٥- الدعاء للمريض.
٦- أن يعطيه نظرة تفاؤل بأن يجعل المريض ينظر للدنيا نظرة انشراح وتفاؤل.

الوقفة الرابعة: المريض وقد اعتلت صحته وتغير طبعه ومزاجه، بحاجة إلى من يعامله بالرحمة والعطف والرعاية، والطبيب المعالج يحتسب هذه المعاملة عند الله، فهو في مجال دعوة خصب، لأن هذه المعاملة الطيبة ينعكس أثرها على المريض ومن بعده. فالراحمون يرحمهم الله ومن لا يرحم الناس لا يرحم.

الوقفة الأخيرة: أن نحرص جميعًا على استغلال الوقت على أية حال في الصحة والمرض. من قراءة القرآن والتسبيح والتحميد والذكر لأن هذا من الباقيات الصالحات. يقول سبحانه: "والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً" [٢].



(١) لأن هذه الطريقة مأخوذة من النصارى، ولا يجوز التشبه بهم في ذلك.
(٢) سورة الكهف ، آية (٤٦) .

الكلمة السابعة والعشرون

وانقضى رمضان

وهكذا أيها الإخوة انقضى رمضان، وذهب ليعود بعد عام، وانتهى رمضان ولكن ماذا بعد رمضان؟ انقضى رمضان، وعمل المؤمن ـ ولله الحمد ـ لا ينقضي حتى يموت.

وذهب رمضان، وانقضى معه الصيام والقيام عند كثير من الناس، لأنهم جعلوا الصيام والقيام وقراءة القرآن فقط في رمضان.

سلام من الرحمن كل أوان   على خير شهر مضى وزمان

لئن فنيت أيامك الغرّ بغتة   فما الحزن من قلبي عليك بفانِ

انقضى هذا الشهر ومن الناس من لا يصلي، ولا يدخل المسجد إلا في رمضان، فهذا لا ينفعه صيام ولا قيام، وهؤلاء هم عبّاد المواسم، لا يعرفون الله إلا في المناسبات، وعند نزول المصائب، والنقم إذا حلّت بهم، فإذا ذهب الموسم أو الضائقة والمصيبة عادوا إلى غيّهم، وإلى معاصيهم وفجورهم، فبئس والله القوم الذين هذا ديدنهم، وهذا حالهم، وبئس والله القوم الذين لا يعرفون الله إلا في رمضان.

هؤلاء خالفوا قول الحق سبحانه حيث يقول: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾[1] والخطاب لمن؟ إنه للمصطفى ﷺ، والذي قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومع ذلك يُقال له: لا تفارق العبادة حتى يأتيك الموت، ونحن من باب أولى.

ولقد رأينا أناسًا نعرفهم بسيماهم في هذا المسجد، وفي غيره من المساجد لم يدخلوا المسجد إلا في رمضان، فإذا خرج رمضان ودّعوا المسجد، وودّعوا المصلين، وكأن لسان حالهم يقول: وداعًا إلى رمضان المقبل. فما أقسى هذه القلوب، وما أقبح هذا الفعل، وكأن معهم ضمان من الله بأنهم سيبقوا إلى رمضان القادم.

فيا أخي الحبيب يا من عبدت الله في رمضان، ويا من صليت،

---

(١) سورة الحجر، آية (٩٩).



وذقت لذة الطاعة، الله الله أن تهدم ما بنيت، وأن تنقض ما غزلت، اجعل رمضان محطة تتزود منها، وتنطلق من خلالها عبر مختلف الطاعات في جميع الشهور، وإذا وسوست لك نفسك، وزيّن لك الشيطان النكوص والرجوع، فتذكر الجنة وما أعد الله لأهلها من النعيم، وتذكر النار وما أعد الله لأهلها من الجحيم والزقوم، وتذكّر أهوال يوم القيامة، وما فيها مما يشيب لهوله الولدان.

وبالله التوفيق،،،



الكلمة الثامنة والعشرون

الهمّة العالية

يقول رجاء بن حيْوة [(١)] أمرني عمر بن عبدالعزيز أن أشتري له ثوبًا بستة دراهم فأتيته به فجسّه، وقال: هو على ما أحبّ لولا أن فيه لينًا، فبكى رجاء بن حيوه، فقال له عمر: ما يبكيك، قال أتيتك وأنت أمير بثوب بـ ٦٠٠ درهم فجسسته، وقلت هو على ما أحبّ لولا أن فيه خشونة، وأتيتك وأنت أمير المؤمنين ثوب بـ ٦ دراهم فجسسته وقلت: هو على ما أحب لولا أن فيه لينًا.

فقال: يا رجاء إنّ لي نفسًا توّاقة [(٢)] تاقت إلى فاطمة بنت عبدالملك فتزوجتها، وتاقت إلى الإمارة فَولِّيتُها، وتاقت إلى الخلافة فأدركتها، وقد تاقت إلى الجنّة، فأرجو أنْ أدركْها إن شاء الله عز وجل.

أيها الإخوة عندما تتلهف النفس إلى شيء عزيز، وعندما تشتاق إلى لقيا حبيب تصغر الأشياء، وتكون لا شيء أمام ما تتمناه النفس وتهواه.

وهذا عمير بن الحمام يشتاق للجنّة، ويقول: واهًا لرائحة الجنة إنّي لأشمها من دون أحد، فيقتل ﵁ في غزوة أحد وقد طعن اثنتي عشرة طعنة[(٣)].

وهذا عبدالله بن رواحة الأنصاري أحد الأمراء في غزوة مؤتة لما رأى في نفسه ترددًا لما قتل زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب أخذ يحدثها ويقول:

أقسمت يا نفس لتنزلنّه	**طائعة أو لتكرهنه**
إن أجلب الناس وشدوا الرنّة	**مالي أراك تكرهين الجنّه**
قد طال ما قد كنت مطمئنة	**هل أنت إلا نطفة في شنّه**

ثم نزل فقاتل حتى قتل.

وجاء في السيرة أنهم رُفعوا للنبي ﷺ في الجنة على سرر من ذهب، فقال ﷺ: فرأيت في سرير عبدالله بن رواحة ازورارًا [(٤)] عن سريري

---

(١) رجاء بن حيوة الكندي. شيخ أهل الشام في عصره، من العلماء كان ملازماً لعمر بن عبدالعزيز ت١١٢هـ. الأعلام للزركلي ١٧/٣ .

(٢) أي نفس تطمح إلى المعالي والرفعة.

(٣) هذه كرامة لهذا الصحابي أن يشم رائحة الجنة وهو في الدنيا .

(٤) أي: ميلاً واعوجاجاً.



صاحبيه فقلت عمّ هذا؟ فقيل لي: مضيا، وتردد عبدالله بعض التردد ثم مضى فقتل [١].

إنها أمنية غالية يسعى لها الساعون من المؤمنين على مرّ العصور، إنها شعلة تحرك القلوب، وتحدوهم إلى ضرب الأمثلة في الجهاد والتضحية.

في صحيح مسلم [٢] أن أبا موسى الأشعري قال وهو أمام الأعداء قال رسول الله ﷺ: "إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف" فقال رجل رثُ الهيئة: يا أبا موسى أأنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا؟

قال: نعم، فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام. ثم كسر جَفْنَ سيفه فألقاه ثم قاتل العدو حتى قتل.

لتذهب هذه النفس وتنتهي شوقًا ولهفًا إلى جنة عرضها السموات والأرض.

جاء رجل[٣] إلى النبي ﷺ فأسلم فبيّن له النبي ﷺ الإسلام وكم يأخذ من الغنيمة، فقال الرجل: يا رسول الله ما على هذا بايعتك، إنما بايعتك على أن يدخل سهم من هاهنا ويخرج من هاهنا وأشار إلى رقبته، فقال ﷺ: "إن تصدق الله يصدقك" فقتل رضي الله عنه كما تمنى [٤].

وإذا كان النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي، قال: "إن شئت صبرتِ ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله عز وجل أن يعافيك"، قالت: أصبر، ثم قالت فإني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها [٥].

فهذه امرأة سوداء عادية لا وزن لها في المجتمع[٦] كانت تصرع بسبب الجان فأتيحت لها الفرصة للشفاء بدعاء النبي ﷺ، ولكنها لما سمعت أن هناك جنّة اشتاقت وتلهفت وقالت: أصبر وأتحمل المرض والأذى، لكنها طلبت أن يدعو لها المصطفى ﷺ أن لا تتكشف، يعني أن هذا الجان الخبيث يتسلط على هذه المرأة فيزيل ملابسها، وتتكشف أمام الناس، فدعا



(١) أسد الغابة ٣/١٣٤ .
(٢) مسلم ١٩٠٢ .
(٣) اسمه: شداد بن الهاد رضي الله عنه .
(٤) النسائي ١٩٥٥. المعجم الكبير للطبراني ٧/٢٧١ رقم ٧١٠٨ .
(٥) البخاري ٥٦٥٢ . مسلم ٥٤ .
(٦) قيل إن اسمها سعيدة الأسدية، فتح الباري ١٠/١١٩.



لها النبي ﷺ، فصارت تصرع ولا تتكشف، وكان الثمن لهذه الهمة العالية هو: الجنة.

فعلى المسلم أن تكون له همة عالية، تسمو به إلى معالي الأمور فلا يرضى بالدون، ويكون في ذيل القافلة.

يقول الإمام الكيلاني يربي غلامه فيقول: "يا غلام لا يكن همّك ما تأكل وما تشرب وما تلبس، وما تنكح وما تسكن وما تجمع، كل هذا همّ النفس والطبع، فأين همّ القلب"[١].



(١) بصائر تربوية، د. عمر الأشقر ص١٣٧ .



الكلمة التاسعة والعشرون

فضل أيام عشر ذي الحجة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد:

دخل إبراهيم بن أدهم أحد العباد الزهاد على أحد إخوانه يعوده كان مريضًا، فوجده يتأفف ويتأسف، فقال له: على ماذا تتأفف وتتأسف، قال: ما تأسفي على البقاء في الدنيا، ولكن تأسفي على ليلة نمتها، وعلى يوم أفطرته، وعلى ساعة غفلت فيها عن ذكر الله.

وقيل لحسان بن أبي سنان وهو في مرضه كيف تجدك؟ قال: بخير إن نجوت من النار، فقيل له فما تشتهي؟ قال: ليلة بعيدة ما بين الطرفين أحيي ما بين طرفيها.

لقد كان السلف رحمهم الله يستغلون الأوقات في طاعة الله، ويتألمون على فوات الوقت في غير خير يقربهم إلى الله عز وجل. لذلك من فضل الله ورحمته بعباده أن جعل لهم مواسم يعوّضون فيها ما فاتهم، ويستكثرون فيها من الخير لمعادهم.

نحن أيها الإخوة سنستقبل أيامًا فاضلة، ولحظات مباركة موسم يربح فيه من ربح، ويخسر فيه من فرّط وقصر.

يقول سبحانه:﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ [1] قال ابن كثير - رحمه الله - "المراد بها عشر ذي الحجة" فأقسم الله بها لشرفها ولعظيم منزلتها وعلو قدرهاو وللتنبيه على أهميتها وفضلها.

ويقول ﷺ كما في البخاري[2] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما:"ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجلٌ خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء".

فحري بالمسلم اغتنام هذه الأيام المباركة، واستغلالها فيما يقرّبه إلى الله، ويستكثر فيها من الطاعات والأعمال الصالحة.

اللهم إنا نسألك قبل الموت توبة، وعند الموت شهادة، وبعد الموت جنة ونعيمًا يا أرحم الراحمين، اللهم وأيقظنا من رقدات الغفلة، واجعلنا لك

---

(١) سورة الفجر، الآيتان (١-٢) .
(٢) البخاري ٩٦٩ .



طائعين منيبين يا رب العالمين.





الكلمة الثلاثون

ماذا أعددت للقبر ؟

كثيرًا ما نسمع وكثيرًا ما يطرق أسماعنا دعاءٌ معروف، ودعاء محفوظ ما هو هذا الدعاء؟ إنه: اللهم ارحمنا إذا صرنا إلى ما صاروا إليه خاصة في هذا الشهر المبارك، ونقول بعده: آمين. لكن هل توقفنا قليلاً وتدبرنا مليًا معنى هذا الدعاء؟

إن معناه بعبارة موجزة وبسيطة: أننا يومًا ما سيصير حالنا كما صار إليه أولئك الذين انتقلوا من هذه الدار.

لذلك لما دخل عمر بن عبدالعزيز على المقابر يوم العيد بكى وأبكى من حوله ثم قال بملء صوته: يا موت ماذا فعلت بالأحباب؟ يا موت ماذا فعلت بالأصحاب؟ ثم التفت إلى أصحابه وقال: أتدرون ماذا يقول الموت؟ قالوا: لا!، قال: إنه يقول: أكلت الحدقتين وذرفت بالعينين، وفصلت الكتفين عن العضدين والعضدين عن الساعدين، والركبتين عن الساقين والساقين عن القدمين. ثم أغمي عليه رحمه الله.

أذكّر نفسي وإياكم بهذا الأمر لأننا قد ننسى وقد نغفل مع هذه النعم المتوالية، ومع هذه الصحة والعافية، ولله الحمد والمنة.

دخل علي بن أبي طالب على المقابر فقال: الله ما أحسن ظواهركم لكن ليت شعري ما في بواطنكم؟ فظاهر القبور سكون ووجوم، وداخلها لا يعلمه إلاّ الله، فأحدهم منعّم يفتح له نافذة إلى الجنة ويأتيه من روحها وريحانها، فيقول: ربّ أقم الساعة لأرجع إلى مالي وأهلي فيقال له: نم نومة العروس لا يوقظك إلاّ أحب أهلك إليك. والآخر بجانبه مكدّر منغّص يضرب بمرزبة من حديد لو ضربت بها الجبال لماعت من تحتها.

ودخل عليّ رضي الله عنه ذات مرة على المقابر فقال:يا أهل المقابر ألا نخبركم عنا فتخبرونا عنكم؟ أما أخبارنا: فإن الدور قد سكنت، وأما الأموال فقد وزعت، وأما النساء فقد تزوجن فهذه أخبارنا فما هي أخباركم؟ ثم قال رضي الله عنه: سكتوا!! ولو نطقوا لقالوا: تزودوا فإن خير الزاد التقوى.

كان عثمان رضي الله عنه إذا مرّ على قبر يبكي حتى تخضلّ لحيته من البكاء، وكان يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: "ما رأيت منظرًا قط إلاّ والقبر أفظع منه" وسمعته يقول: "إنّ القبر أولُ منازلِ الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينجُ منه فما بعده أشد منه"[(١)] .

---

(١) الترمذي ٢٣٠٨، ابن ماجه ٤٢٦٧ .



والقبر فما ذكره وما وراءه	**فمنه ما لأحد براءه**
القبر روضة من الجنان	**أو حفرة من حفر النيران**
فإن يك خيرًا فمالذي بعده	**أفضل عند ربنا لعبده**
وإن يك شرًا فما بعده أشد	**فويل لعبد عن سبيل الله صدّ**

عن ابن ماجة بسند حسن أن النبي ﷺ جلس على شفير قبر، فبكى حتى بلّ الثرى ثم قال: "يا إخواني لمثل هذا فأعدوا"(١).

نعم أخي الحبيب:

ها هي الفرصة أتتك والفرص قد لا تتكرر أبدًا. ها هو الشهر الكريم قد (انتصف) فخذ لنفسك من الحظ الأوفر والنصيب الأكبر في التزود بالطاعات، والتزود من الصالحات.

تزود من التقوى فإنك لا تدري	**إذا جنّ ليل هل تعيش إلى الفجر**
فكم من صحيح مات من غير	**وكم من سقيم عاش حينًا من**
وكم من عروس زينوها لزوجها	**وقد نسجت أكفانها وهي لا تدري**

فبادر أخي الحبيب باغتنام الفرصة مادمت في زمن الأمهال، مادمت في دار العمل، فاليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب بلا عمل، ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدَاً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُ وَٱللَّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ**﴾ (٢).



(١) ابن ماجه ٤١٩٥ .
(٢) سورة آل عمران ، آية ٣٠ .

الكلمة الواحدة والثلاثون

دعوة صادقة لمحاسبة النفس

يذكر الدكتور خالد الجبير حفظه الله أنه جيء إليه بامرأة في المستشفى فلما وضعوها على السرير، وإذا بها تحتضر، هذه المرأة أصبحت في ساعة احتضار، يقول: وإذا برائحة طيبة تخرج من جسدها، فلما انقطع نفسُها وماتت، وإذا بالرائحة تنتشر وتعبق بالمكان، وأصبحت رائحة الغرفة زكية، وجميلة أفضل من رائحة المسك، هذه الرائحة خرجت إلى أروقة المستشفى، كل من دخل شمّ هذه الرائحة الزكية والطيبة يقول الدكتور: فسألت ابنها وقلت له: أمك ماذا تصنع، أمك ماذا تعمل؟ ما هو العمل الذي جعل هذه الرائحة الزكية تعجّ في هذا المكان بهذه الطريقة؟ اسمعوا بقلوبكم أيها الإخوة ماذا قال ابنها؟ قال: إنّ أمي ليس عندها إلا عملاً واحدً، ما هو هذا العمل؟

يقول: إنها تحاسبنا على الغيبة!؟ إذا جلسنا عندها في المجلس، لا نستطيع ولا نتكلم في أحد، وإذا اغتبنا أحدًا عندها، هجرتنا ثلاثة أيام، ما تكلمنا ثلاثة أيام، ثم ماذا أيها الأحباب؟ يقول: إذا أُغتيب عندها أحد فإنها تستغفر له في المجلس، تقول: اللهم اغفر له، اللهم أرحمه. يقول: هذا هو عمل أمي.

إنها دعوة أيها الأحباب لمحاسبة هذه النفس: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾[1].

وهذا عبدالله بن وهب من أتباع التابعين، انظروا أيها الإخوة كيف يحاسب هذا الرجلُ الصالح نفسه؟

يقول: أخذت على نفسي كلما اغتبت إنسانًا أن أصوم يومًا واحدًا، يقول: فاعتادت نفسي (على ماذا؟) اعتادت نفسي على الصيام، صار الصيام على نفسي شيئًا سهلاً، ومقدورًا عليه، يقول: فأخذت على نفسي كلما اغتبت إنسانًا أن أتصدق بدرهم. المال عديل الروح، يقول: فتركت الغيبة، لماذا؟ الدراهم أمرها صعب، صعبٌ خروج هذه الدراهم إلا على النفس التي ترجو وجه الله تبارك وتعالى. صور مشرقة في المحاسبة، كيف كانوا يحاسبون أنفسهم؟ وكيف أننا نحن أهملنا محاسبة أنفسنا إلاّ ما رحم الله.

فكم من اللحظات، كمن الساعات نغفل عن ذكر الله ولا نحاسب هذه

---

(١) سورة يوسف، آية (٥٣).



النفس.

أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه، ننظر ونسمع إلى وقفة وإلى صورة مضيئة في حياة هذا الصحابي الجليل الذي هو أفضل الأمة بعد نبيها ﷺ، كيف يحاسب نفسه؟ دخل عليه أحد الصحابة (عبدالله بن مسعود) وهو يجذب لسانه قد أخذ بطرف لسانه يجره خارج فمه، فقال ابن مسعود: مهلاً على نفسك، قال هذا الذي أوردني الموارد (أي المهالك).

أبو بكر الصديق المسابق والمسارع دائمًا إلى الخيرات يفعل ذلك؟ نعم يفعل ذلك لأنه يرجو ما عند الله، يطمع ويطمح إلى ثواب ربه وفضله وكرمه.

أرأيتم لأبي بكر وهو خير الأمة بعد الأنبياء، "لو وضع إيمان أبي بكر في كفة، وإيمان هذه الأمة في كفة لرجح بهم إيمان أبي بكر"(١)، وهو من أهل الجنة، ومع ذلك يحاسب نفسه، فماذا نقول عن حالنا أيها الأخوة الكرام؟

فسبحان من يعفو ونهفو دائمًا ... ولم يزل مهما هفا العبد عفا

يعطي الذي يخطي ولا يمنعه ... جلاله عن العطا لذي الخطا

كلنا نخطئ لكن... لابد من المحاسبة. إذا لم تحاسب هذه النفس، فلن ترتاح يوم القيامة.

يقول الحسن البصري - رحمه الله -: "إنك لا ترى المؤمن إلا يحاسب نفسه، ماذا أردت بأكلتي؟ ماذا أردت بقومتي؟ ماذا أردت بكلمتي؟ وإن الفاجر يمضي قدمًا لا يحاسب نفسه، وإنّما هان الحاسب يوم القيامة على أناس لأنهم حاسبوا أنفسهم في الدنيا.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه جلس مع نفسه، وقال: إيه يا ابن الخطاب، كنت في الجاهلية تدعى عميرًا، ثم أصبحت تدعى بعمر، واليوم تدعى بأمير المؤمنين، والله لتتقين الله، أو ليعاقبنك الله في النار. يقول النبي ﷺ قال: "ما سلك عمرُ فجًا (أي طريقًا) إلا وسلك الشيطان فجًا آخر"(٢).

وهو الصحابي الجليل المبشّر بالجنة، أفضل الأمة بعد الأنبياء، وبعد أبي بكر، ومع ذلك هو يحاسب نفسه.

إنها دعوة في هذه الأيام المباركة للمحاسبة، يقول عمر رضي الله عنه: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزن عليكم، وتأهبوا للعرض الأكبر على الله يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية".

---

(١) كشف الخفا للعجلوني ٢/٢١٦ .
(٢) البخاري ٣٢٩٤، مسلم ٢٣٩٦ .



أخي الحبيب، أخي المبارك متى تحاسب نفسك؟ متى تقف مع نفسك وقفة الشريك لشريكه؟ متى؟ هل تقف مع نفسك عندما تغرغر؟ سؤال موجّه لي ولك؟ هل تقف مع نفسك عندما تلفّ في الخرقة البيضاء، وتوضع في اللحد؟ أم تحاسب نفسك حينما يبعثر ما في القبور ويحصّل ما في الصدور؟ أم تحاسب نفسك عندما يخرج الناس من قبورهم، وهم حفاةٌ عراةٌ غُرْلاً؟[1]

فالبدار البدار إلى محاسبة هذه النفس حتى تفوز برضا الله والجنة.



(١) غرلاً: أي غير مختونين .



الكلمة الثانية والثلاثون

من أنواع الاستثمار

في هذا الزمان الذي لهث كثير من الناس، وتسابقوا في استثمار أموالهم، وتنميتها بشتى الصور، بل إن البعض لم يفكر في حلّ ذلك الاستثمار أو حرمته فوضع ماله فيما حرم الله، وكانت النتيجة، أن سقطت تلك الأسهم، وانهارت، ومعها انهار جمع من الناس، فكثرت بذلك الأمراض العضوية والنفسية.

لكنّ هناك مجالاً للاستثمار غفلنا عنه، ونسيناه، رغم سهولته، وبساطته أتدرون ما هو ذلك الاستثمار؟

إنه استثمار الطاقات التي فينا وبين أيدينا، والتي حولنا، فمن ذلك:

١- استثمار طاقة القلب: هذا القلب الذي بين جوانحك املأه بتوحيد الله، اجعله متعلقًا بربه في الرخاء والشدة، وفي الغنى والفقر، وفي الصحة والمرض، فإذا ملأته بحب الله، وحب رسوله ﷺ، امتلأ بالنور، نور الإيمان والتوحيد، يحيى ويسعد بهما، يقول ﷺ: "ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"(١).

فلذلك موت القلب أشد من موت الجسد، يقول أحد الصالحين: "عجبت للناس يبكون على من مات جسده، ولا يبكون على من مات قلبه وهو أشد"(٢).

وإذا امتلأ القلب بنور الإيمان والتوحيد، صمد وصبر أمام المواقف العظام، والصدمات القوية.

٢- استثمار طاقة اللسان: وأقولها بصدق إن اللسان من أعظم الجوارح نفعًا للعبد، إذا استغلّه، وأشغله في أمور الخير، وبعض الناس يقول: والله فلان قلبه طيب، ونيته زينة، لكن ما فيه إلاّ حاجة بسيطة "لسانه" وأقول أيها الإخوة: إن أمر اللسان ليس أمرًا هينًا أو بسيطًا، بل هو جارحة لها خطرها إذا لم تضبط بضابط الشرع. يقول ﷺ مبينًا خطر اللسان:

"إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها، يهوي بها في النار أبعد

---

(١) البخاري ٥٢، مسلم ١٥٩٩ .

(٢) تزكية النفوس ، ص٤٢ .



ما بين المشرق والمغرب"[١] .

وقال ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: "لا يكبّ الناس في النار على مناخرهم، أو قال على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم"[٢].

روي عن أحد الصالحين أنه إذا أصبح يأخذ لسانه ويقول: "يا لسان قل خيرًا تغنم، أو اسكت عن شر تسلم".

فهنيئًا لمن سخر طاقة لسانه فيما يرضي الله سبحانه، وفيما يعود عليه بالنفع في الدنيا والآخرة.



(١) البخاري ٦٤٧٧. مسلم ٢٩٨٨ .

(٢) الترمذي ٢٦١٦. وقال: حديث حسن صحيح .



الكلمة الثالثة والثلاثون

نزع الغلّ والبغضاء من القلوب

في معركة الجمل خرجت عائشة وطلحة والزبير وغيرهم ﷺ أجمعين، وخرج الصحابة بالسيوف، وخرج علي ﷺ ومعه جمع من الصحابة من أهل بدر. قيل لعامر الشعبي: الله أكبر، يلتقي الصحابة بالسيوف ولا يفر بعضهم من بعض؟ قال: أهل الجنة التقوا فاستحيا بعضهم من بعض.

فلما قُتل طلحة في المعركة - قتله مروان بن الحكم - وكان في الصفّ المضاد لعليّ نزل علي ورآه مقتولاً، جعل يمسح التراب عن وجهه، وقال: عزيز عليّ يا أبا محمد أن أراك مجندلاً تحت نجوم السماء، ثم قال: إلى الله أشكو عجري وبجري [١] ، وترحم عليه، وقال: ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة، وبكى عليه.

وروي عن علي أنه قال: إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة وعثمان والزبير ممن قال الله فيهم:﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [٢] . فانظر إلى الصفاء والنقاء، وطهارة القلوب، فبالرغم من القتال بينهم إلاّ أن قلوبهم لا تحمل الغل ولا الحقد. فهو مشهد رائع، وأنموذج باهر. فهم ليسوا ملائكة، ولم يخرجوا يومًا من الأيام من بشريتهم، لكنهم رسموا لنا أروع صور عرفتها الدنيا.

والمشهد الثاني: من صور نزع الغلّ والبغضاء من القلوب: تقول عائشة رضي الله عنها: دعتني أم حبيبة - رملة بنت أبي سفيان - عند موتها، فقالت: قد يكون بيننا ما يكون بين الضرائر، فغفر الله لي ولكِ ما كان من ذلك، فقلت: غفر الله لكِ ذلك كلّه، وحَلّلكِ من ذلك، فقالت أم حبيبة: سررتيني سرّك الله، وأرسل إلى أم سلمة، فقالت لها مثل ذلك [٣] .

والمشهد الثالث: مرّ على محمد بن السمّاك صاحب له عتب عليه، فقال لابن السمّاك: غدًا نتحاسب، فانظر إلى ابن السمّاك العابد الزاهد ماذا قال؟ قال: لا والله غدًا نتغافر.



(١) أي: همومي وأحزاني.

(٢) سورة الحجر، آية (٤٧).

(٣) سير أعلام النبلاء ٢/٢٢٣.



إنها قلوب امتلأت بالحب والإيمان، فآثرت الله على كل شيء، حتى على حظوظ النفس. فحريّ بالمسلم أن يتصافى مع زوجته، ويتسامح مع إخوته، ويتجاوز عن زلات أصدقائه، ويجعل صدره واسعاً للصفح عن الهفوات، والتجاوز عن العثرات، ابتغاء للثواب والأجر من الله، ولتكون باباً عظيماً للدعوة إلى الله.



الكلمة الرابعة والثلاثون

عن الجنّة

في الصحيحين أنّ عمر ﷺ دخل على النبي ﷺ فوجده على سرير من الليف قد أثّر في جنبه الشريف، فبكى عمر ﷺ، وحق له البُكاء لقد رأى خير البشرية، وأفضل الخلق في منظر مؤثر ومهيّج للبكاء، فقال له رسول الله ﷺ: ما يبكيك يا عمر؟ فقال: تذكرت كسرى وقيصر، وما كانا فيه من سعة الدنيا، وأنت رسول الله تنام على سرير قد أثّر في جنبيك!؟

فانظر يا رعاك الله، انظر أخي الحبيب إلى معلّم البشريّة، وهادي الإنسانية ماذا يقول؟

فقال عليه الصلاة والسلام: "هؤلاء قوم عجّلت لهم طيباتُهم في حياتهم الدنيا، ونحن قوم أخرت لنا طيباتنا في الآخرة"(١) .

هكذا كان ﷺ يربي أصحابه ويربطهم بالآخرة، ويذكرهم بألا تتعلق قلوبهم بالدنيا. وهذا التوجيه النبوي موجّه لنا أيضًا، ولكن كما قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ (٢) .

وفي الصحيحين (٣) أنّ النبي ﷺ أهدي له أو أتي له بثوب من حرير فجعل الناس يعجبون من حسنه ولينه، فقال رسول الله ﷺ: "لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أفضل من هذا" .

فالصحابة أخذوا ينظرون إلى الحرير أو الديباج لروعة منظره، ولين ملمسه فخاف عليهم من الميل للدنيا؛ فزهدهم ذلك، ورغبهم في نعيم الآخرة، فمناديل سعد بن معاذ وهو سيد الأوس، مناديله في الجنة -والتي ينظف بها يديه - خير من حرير الدنيا وديباجها، وليس هناك مقارنة في النعيم.

لذلك يقول ابن عباس رضي الله عنهما: "ليس في الدنيا من الجنة شيء إلاّ الأسماء"(٤) فليس العسل كالعسل وليس الخمر كالخمر وليس العنب كالعنب. فمهما قرأت في وصف نعيمها، وخطر ببالك من متاعها، وعجائبها فهي أعجب مما قرأت وأطيب مما خطر على قلبك، في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ قال الله عز وجل



(١) البخاري ٤٩١٣. مسلم ١٤٧٩ .
(٢) سورة الأعلى ، الآيتان (١٦-١٧) .
(٣) البخاري ٣٨٠٢. مسلم ٢٤٦٨ .
(٤) تفسير الطبري ٢١٠/١ رقم ٥٣٥ .



أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، مصداق ذلك في كتاب الله: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [(١)] .

وطعامهم ما تشتهيه نفوسهم	ولحوم طير ناعم وسمان
وفواكه شتى بحسب مناهمُ	يا شبعة كملت لذي الإيمان
لحم وخمر والنساء وفواكه	والطيب مع روح ومع ريحان
وصحافهم ذهب تطوف عليهم	بأكف خدام من الغلمان

إنها الجنة أيها الإخوة إنها والله نور يتلألأ، وريحانة تهتز، ونهر مطّرد، وفاكهة وخضرة، وزوجات حسان، وخلود أبدي.

في صحيح مسلم أنّ أبا موسى الأشعري رضي الله عنه في إحدى المعارك قال: قال رسول الله ﷺ: "إنّ أبواب الجنة تحت ظلال السيوف" فقال رجل رثّ الهيئة، يا أبا موسى: أأنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا؟

قال: نعم، فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام ثم كسر جفن سيفه، فألقاه، ثم مشى بسيفه إلى العدوّ، فضرب به حتى قتل[(٢)].

لذلك كانت الجنة حافزًا للصحابة للتضحية بكل غال ونفيس.

فهذا سعد بن خيثمة الأنصاري، لما أراد الخروج إلى بدر قال له أبوه خيثمة: لابد لأحدنا أن يقيم، فآثرني بالخروج وأقم أنت مع نسائنا، (الوالد يحاول في ابنه أن يسمح له بالخروج إلى غزوة بدر ويجلس هو مع أهله) فماذا كان رد الابن سعد، قال: يا أبي لو كان غيرُ الجنة لآثرتك به، إني أرجو الشهادة في وجهي هذا، فاستهما فخرج سهم سعد، فخرج إلى بدر يقاتل مع رسول الله ﷺ حتى قتل رضي الله عنه.

وفي غزوة بدر قال ﷺ للصحابة قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض، فقال عمير بن الحمام الأنصاري يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض، قال: نعم، فقال: بخ بخ، فقال ﷺ: ما حملك على قولك هذا، قال رجاء أن أكون من أهلها قال: إنك من أهلها – وعد من النبي ﷺ – فأخرج تمرات كانت في جعبته فجعل يأكل منها ثم رمى بها جانبًا وقال إنها لحياة طويلة إن بقيت حتى آكل تمراتي هذه، فقاتل حتى قتل[(٣)] .

(١) سورة السجدة، آية (٧١). والحديث رواه : البخاري ٣٢٤٤. مسلم ٢٨٢٤ .
(٢) مسلم ١٩٠٢ .

(٣) مسلم ١٩٠١ .



أخي الحبيب هلا سألت نفسك، ماذا قدمت وماذا عملت، ماذا أعددت للجنة؟ سؤال يحتاج منا، ويحتاج لكل واحد منا أن يجلس مع نفسه ويجيب عليه إجابة شافية كافية.

يا سلعة الرحمن لست رخيصة ... بل أنت غالية على الكسلان

يا سلعة الرحمن سوقك كاسد ... فلقد عرضت بأيسر الأثمان

يا سلعة الرحمن ليس ينالها ... في الألف إلاّ واحد لا اثنان

يا سلعة الرحمن كم من خاطب ... فالمهر قبل الموت ذو إمكان

وكان عمرو بن الجموح آخر الأنصار إسلامًا فلما ندب الرسول ﷺ الناس إلى بدر، أراد الخروج مع الناس فمنعه بنوه لأنه كان أعرجاً، لكن التحفز إلى الخير والمسارعة إلى الجنة جعله يتأهب يوم أحد، فقال لبنيه لقد منعتموني الخروج يوم بدر فلا تمنعوني الخروج إلى أحد، فقالوا له: لقد عذرك الله، لأنه أعرج، فذهب يشكي حاله على رسول الله ﷺ، وقال يا رسول الله قد منعني أبنائي وحبسوني عن الخروج معك، ووالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة. انظروا يا إخوة إلى اليقين والصدق مع الله، فطلب النبي ﷺ من أبنائه ألا يمنعوه لعل الله أن يرزقه الشهادة، فأخذ سلاحه وقال: اللهم أرزقني الشهادة ولا تردني إلى أهلي خائبًا، فقاتل رضي الله عنه حتى قتل فقال ﷺ: لقد رأيته يطأ بعرجته الجنة[(١)].

فيا أخي الحبيب إن كنت تريد الخلود، وتريد الرضا من الرحمن فاعمل لتلك الدار.

فاعمل لدار غدًا رضوان خازنها ... والجار أحمد والرحمن بانيها

قصورها ذهب والمسك طينتها ... والزعفران حشيش نابت فيها



(١) أسد الغابة ٣/٧٠٥ .

الكلمة الخامسة والثلاثون

كيف تعتصم من الشيطان ؟

أيها الأحباب الكرام:

المعركة والصراعات مع الشيطان مستمرة، لذلك يخبرنا المولى سبحانه بقوله: ﴿**إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً**﴾ (١) عدو لدود حاقد على الإنسان، انظر لما طلب الإمهال والإنظار إلى يوم البعث ماذا قال؟ قال كلامًا خطيرًا وعظيمًا، لكن الكثير منا عن هذا غافلٌ لاهٍ، قال: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ (٢) ، يعني أترصد لهم حتى لا يمشوا في الصراط المستقيم، حتى لا يعرفوا طريق الهداية، هو جالس، باق في الطريق يتلقف، ويضل كل من قدر عليه من الناس، والموضوع ليس لهذا الحدّ فقط بل أشد وأفظع يا إخوة ثم يقول: ﴿**ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**﴾(٣) . ما قال: ومن فوقهم؛ لأن الله أعلى سبحانه وهو فوق البشر .

لذلك من العواصم، والأمور التي تحفظ الإنسان من الشيطان:

١ - الحرص على الصلاة والمحافظة عليها.

يقول ﷺ: "ما من ثلاثة في قرية ولا بدو، لا تقام فيهمُ الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية" (٤).

٢- الاستعاذة من الشيطان في أمور كثيرة: فأنت تلجأ إلى الله وتعتصم به سبحانه من هذا العدو اللدود، عند قراءة القرآن، عند الغضب، عند دخول المسجد، عند الوسوسة في الصلاة، إلى غير ذلك.

٣- التسمية، والبداءة بها في كل شأن، فالتسمية تعلق بالله، وتبرك باسمه، وتعظيم وتبجيل له سبحانه، فعند أبي داود(٥) أن رجلاً من الصحابة كان رديف النبي ﷺ، فعثرت دابة النبي ﷺ فقال الصحابي: تعس الشيطان، فقال ﷺ: " لا تقل تعس الشيطان فإنك إذا قلت ذلك تعاظم حتى يصير مثل البيت، ولكن قل بسم الله فإنه يتصاغر حتى يكون مثل الذباب".

٤- ومن العواصم المباركة: قراءة القرآن، يقول ﷺ : "لا تجعلوا



(١) سورة فاطر، آية (٦) .
(٢) سورة الأعراف، آية (١٦) .
(٣) سورة الأعراف، آية (١٧).
(٤) رواه أبو داود ٥٤٧ . النسائي ٨٤٧ .
(٥) أبو داود ٤٩٨٢ .



بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة"[١].

٥- وأخيرًا وليس آخرًا كثرة ذكر الله: فما أجمل أن يزدان الفم، وينطلق اللسان مرددًا ذكر الله سبحانه، يقول ﷺ للصحابي: "لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله"[٢] انظر إلى جمال الإبداع عند الرسول ﷺ وجمال الأسلوب، ويدخل في هذا المحافظة على الأذكار.

وبالله التوفيق ،،،،



(١) مسلم ٧٨٠ .

(٢) الترمذي ٣٣٧٥ . ابن ماجه ٣٧٩٣ .

الكلمة السادسة والثلاثون

بادر بالتوبة

أشكر المولى سبحانه وتعالى أن يسّر هذا اللقاء، ثم أشكر كل من ساهم وسعى فيه، وأسأل الله للجميع التوفيق والسداد، وأن يحرم هذه الوجوه عن النار إنه جواد كريم.

في سنة ٩٣هـ ضرب عمر بن عبدالعزيز خبيب بن عبدالله بن الزبير خمسين سوطًا بأمر الوليد بن عبدالملك، وكان واليًا على المدينة، وصبّ فوق رأسه قربة من ماء بارد في يوم شتاء بارد، وأقامه واقفًا على باب المسجد حتى مات رحمه الله.

فعمر بعد ما فَعَل هذا الفعل، حاسب نفسه كيف اقترف هذا الذنب، فتغير تغيرًا شديدًا، كان من قبل إذا مرّ من طريق عرف الناس أنه مرّ فيه لكثرة ما يتطيب ويرش على نفسه من الطيب، وإذا وضع ثيابه عند الغسّال، الناس تنتظر متى الوقت الذي يضع ثيابه، حتى يضعونها مع ثيابه لطيبها، ورائحتها الزكية، ثم بعد هذا الموقف، اعتكف على العبادة، ولزم الطاعة، وكان شديد الخوف لا يأمن على نفسه من العقوبة من الله، وكان إذا بشّر بشيء قال: كيف وخبيبٌ لي بالطريق ثم يصيح كالمرأة الثكلى، وكان يقول: خبيب، مالي وخبيب، إن نجوت منه فأنا بخير. فلزم التوبة، وركبه الهمّ والحزن، واجتهد في العبادة.

قال ابن كثير - رحمه الله -: "وكانت تلك هفوة منه وزلّة، ولكن حصل له بسببها خير كثير، من عبادة، وبكاء وحزن وخوف وإحسان وعدل وصدقة وبر"(١). وكان من قبل تمشط شعره الماشطة فتفوته الصلاة لذلك. ولكن منّ الله عليه بالتوبة والهداية، وطهّر تلك النفس من أدران الذنوب والمعاصي، حتى كان يقول: "إنّ لي نفسًا تواقة - أي طموحة عندها رغبة شديدة لمعالي الأمور - تاقت إلى الزواج من فاطمة بنت عبدالملك فتزوجتها، واشتاقت إلى الولاية، فتوليتها ثم اشتاقت إلى الخلافة فتوليتها، واشتاقت إلى الجنة وإني لأرجو الجنة.

وقد سقي سمًا فمات شهيدًا رحمه الله وكان يجلس بجانبه وهو يحتضر زوجته فاطمة وأخوها مسلمة، فقال لهم أخرجوا إني أرى أناسًا حضروا ليسوا بجنّ ولا بإنس، ثم تشهّد وقال ﴿**تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلآخِرَةُ نَجْعَلُهَا**

(١) البداية والنهاية ٩/٧٧ .



﴿لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١).

فالتوبة محبوبة إلى الرب سبحانه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ (٢) وهي واجبة على كل مسلم، قال سبحانه: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣) بل ويفرح الله بتوبة عبده إذا تاب وأناب إليه قال ﷺ: "لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح"(٤).

صورة رائعة وجميلة، تبين رحمة الله، وحبه لتوبة عباده، ولوحة تصويرية بديعة جاءت على شكل قصة سريعة.

أخي الكريم:

توقف قليلاً وتأمل هذا اللفظ الذي قاله هذا الرجل: "اللهم أنت عبدي.." ما مقدار الفرح الذي وصل إليه حتى جعله يخطئ هذا الخطأ العظيم؟ إنه فرح ملأ عليه كيانه كله، لأنه كان في حالة يأس، وقنوط وقد أيقن بهلاكه في هذه الصحراء القاحلة، فإذا بهذه الراحلة التي هي حياته يجدها واقفة أمامه.

فلذا أيها الإخوة علينا أن نتوب، وأن نرجع إلى الله، فالنبي ﷺ والذي قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ـ يقول: "والله إني لاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة"(٥) وكان الصحابة ﷺ يعدّون له في المجلس يقول: "رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الغفور مائة مرة"(٦).

اللهم اغفر ذنوبنا، واستر عيوبنا، وارحمنا وتب علينا يا رحمن.



---

(١) سورة القصص ، آية (٨٣) .
(٢) سورة البقرة، آية (٢٢٢).
(٣) سورة النور ، آية (٣١) .
(٤) البخاري ٦٣٠٨. مسلم ٢٧٤٤ .
(٥) البخاري ٦٣٠٧ .
(٦) رواه الإمام أحمد والترمذي، السلسلة الصحيحة رقم ٥٥٦.



الكلمة السابعة والثلاثون

الإيثـــار

كان ﷺ شديد الإيثار، حتى أشفق عليه أصحابه من شدة ما يؤثرهم على نفسه، يقول جابر رضي الله عنه: "ما سئل النبي ﷺ عن شيء قط فقال: لا"[١].

وجاءت امرأة إلى النبي ﷺ ببردة، فقالت: يا رسول الله أكسوك هذه، فأخذها النبي ﷺ محتاجًا إليها فلبسها فلما فرآها عليه رجل من الصحابة، فقال: يا رسول الله ما أحسن هذه فاكسنيها!؟ فقال: نعم. فلما قام النبي ﷺ لامه أصحابه، قالوا: ما أحسنت حين رأيت النبي ﷺ أخذها محتاجًا إليها، ثم سألته إياها، وقد عرفت أنه لا يُسأل شيئًا فيمنعه، فقال: رجوت بركتها حين لبسها النبي ﷺ لعليّ أكفّن فيها[٢].

فالإيثار خُلُق إسلامي نبيل، وهو اختياري ليس بلازم وهو أعلى ضروب الكرم والسخاء، وأسمى مراتب البذل والعطاء، رغبة في الأجر والثواب من رب السماء.

يقول تبارك وتعالى: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾[٣].

ولو كان بهم جوع أو حاجة إلى ذلك الشيء فإنهم لكرم نفوسهم، وقوة إيمانهم، يتنازلون به لإخوانهم، لأنهم يرون أنهم أحوج به منهم.

يقول عمر رضي الله عنه: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق فوافق ذلك مالاً عندي، فقلت اليوم أسبق أبابكر، قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ فقلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله. قال عمر: "لا أسبقه إلى شيء بعدها أبدًا"[٤].

ضحى بماله كلّه في سبيل الله، آثر ما عند الله وما عند رسوله ﷺ هذه مكرمة ومأثرة تدوّن بماء الذهب وتنقش في سجّل أبي بكر رضي الله عنه.

وسعد بن الربيع الأنصاري آخى النبي ﷺ بينه وبين عبدالرحمن بن عوف، عزم على أن يعطي عبدالرحمن شطر ماله، ويطلّق إحدى زوجتيه



(١) البخاري ٦٠٣٤. مسلم ٢٣١١.

(٢) البخاري ٦٠٣٦.

(٣) سورة الحشر، آية (٩).

(٤) أبو داود ١٦٧٨. الترمذي ٣٦٧٥.



ليتزوج بها، فامتنع عبدالرحمن من ذلك ودعا له[١].

حقيقة أيها الإخوة إن المسلم ليقف هيبة، وإجلالاً لهذه النفوس الكبيرة التي تربت على التضحية، والبذل والعطاء والإيثار، إنه تربية محمد ﷺ، وأنعم بها من تربية.

ومن لطائف قصص الإيثار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني مجهود [٢] فأرسل ﷺ إلى بعض نسائه فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلاّ ماء، وكل زوجاته قلن مثل ذلك، فقال ﷺ: "من يضيّف هذا الليلة"؟ قال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ، وفي رواية قال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا إلا قوت صبياني، قال: فعلّليهم بشيء، وإذا أرادوا العشاء فنوّميهم، وإذا دخل ضيفنا فأطفئ السراج، وأريه أنا نأكل، فقعدوا وأكل الضيف، وباتا طاويين [٣] فلما أصبح غدا على النبي ﷺ فقال: "لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة"[٤].

فرغم الفقر، وشظف العيش وشدته إلاّ أن هناك نفوسًا أبت إلاّ البذل والعطاء، ونبذ الأنانية، وإيثار ما عند الله عز وجل، والدار الآخرة .

وانظر إلى عائشة رضي الله عنها لما بعث معاوية رضي الله عنه بمائة ألف درهم إليها وكانت صائمة، فوزعت المال من ساعتها على الفقراء، ولم تبق منه شيئًا، فقالت جاريتها: لو أبقيت لنا شيئًا نشتري به لحمًا تفطرين عليه، فقالت رضي الله عنها: يا بنيّة لو ذكرتيني لفعلت [٥].



---

(١) البخاري ٢٠٤٨ .
(٢) أي: فقير .
(٣) أي بدون عشاء .
(٤) مسلم ٢٠٥٤ .
(٥) البداية والنهاية ١١٠/٨ .



الكلمة الثامنة والثلاثون

مع تربية الأبناء

تربية الأبناء باب واسع يحتاج إلى وقفات طويلة ، ولكن سأذكر بعض الوقفات، والتي أرى أنها مهمة في هذا الموضوع:

الوقفة الأولى: البعض منّا يتوقع أن التربية للأبناء مقتصرة على : الاهتمام بأكلهم، وشربهم، وملابسهم، وهذا شيء طيب أن ينفق الوالد على أبنائه، ولا يقصّر معهم في هذا الجانب، ولكن هناك جانب مهم نغفل عنه كثيراً، وهو التربية الإيمانية، أن تربطهم بالله عز وجل، فيربى الأبناء على مراقبة الله سبحانه، وأن سبحانه يرى كل أعماله صغيرها وكبيرها، فيتعلق بالله ، ويحب طاعته، ويكره معصيته، لذلك يقول النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: "احفظ الله يحفظك" [١] .

فيربى الابن على حفظ أوامر الله، والوقوف عند حدود الله، واجتناب كل المناهي والمحظورات .

الوقفة الثانية: نريد أبناء صالحين، وأتقياء ، ونحن لا نأمرهم بالصلاة. يخرج الأب من البيت، ويرى أبناءه يلعبون عند الباب بالكرة، ولا يهتم، ولا يبالي، ولا يكلف نفسه عناء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكأن الأمر لا يعنيه، ولو رآهم قد ضيّعوا أمراً دنيوياً لغضب، وانتفخت أوداجه، وتكلم عليهم وعاقبهم، أمّا أمر الصلاة، وهي الركن الثاني من أركان هذا الدين، فالخطب يسير.

فربِّ ابنك على حب المسجد ، وحب الصلاة، تحصد ثمرة طيبة بإذن الله.

الوقفة الثالثة: بعض الآباء ليس قدوة حسنة لأولاده، فتجده سيء الخلق مع زوجته، ومع أبنائه، لا يتحرج من السب واللعن، والكذب، فهذه الأخلاق السيئة تنعكس سلباً على الابن، فمثلاً: يرنّ جرس الهاتف، وهو موجود، فيقول: قولوا له: إني غير موجود. فيكون هناك تناقض عند الابن بين فعل والده وقوله.

ولقد رأيت رجلاً دخل عليه ابنه وهو صغير فسب والده، فضحك الأب وقال: ابني قد كبر – نعوذ بالله من ذلك – .

واللسان خطره عظيم كما قال ﷺ : "ألا يكب الناس على وجوههم ، أو

---

(١) الترمذي ٢٥١٦ . وقال : حديث حسن صحيح .



قال: على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم" [(١)] .

وتجده – مثلاً – يدخن عند ابنه، ولا يبالي، ولا يهتم بأمر التربية، وفضلاً عن أنه حرام، إلاّ أنه سلوك سيء؛ لأن الابن غداً سيقلده ويدخن، ومن قدوته؟ إنه والده!؟ وهذا شخص مدخن، يقول: تركت علبة الدخان عند فراش النوم، ولي طفل عمره أربع سنوات، فصليت الفجر، ثم عدت للنوم، وما وعيت إلاّ على صوت زوجتي، تقول: قم وانظر إلى ولدك في المطبخ ماذا يفعل؟ يقول: فذهبت إلى المطبخ وماذا رأيت؟ لقد رأيت ابني الصغير يشعل سيجارة وقد وضعها في فمه، فصعق الأب، وذهل، لكنه تمالك نفسه، وقال: لماذا تفعل هكذا؟ فألهمه الله، وقال: أفعل مثلك يا بابا.

فكانت صفعة مؤلمة للأب، وسبباً في توبته.

وما أجمل أن يرى الابن أباه قدوة حسنة، أنموذجاً متحركاً في أرجاء المنزل، يترجم الآداب الإسلامية ترجمة فعلية على منهج النبوة، فيلمس ذلك الأبناء، فيكون له الأثر الطيب في حياتهم.

عن عبدالله بن عامر ﵁، قال: دعتني أمي يوماً ، ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: يا عبدالله تعال حتى أعطيك، فقال لها رسول الله ﷺ ؛ ما أردت أن تعطيه؟ فقالت: أردت أن أعطيه تمراً. فقال: أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة" [(٢)] .

فإذا كنت تريد ابناً صالحاً، فعليك أن تتبع الآداب الإسلامية وتتخلّق بها.

الوقفة الرابعة: أبناؤنا يمشون مع أصحابٍ ، ورفقاء لهم، لكن القليل من يسأل ابنه من هم أصحابك؟ وما هو حالهم؟ فعلى الأب أن ينظر إلى أصدقاء ولده، ويسأل عنهم، ويحذره من السيئين، ويرغّبه في الأخيار والطيبين، يقول ﷺ : "المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل" [(٣)] .

الكلمة التاسعة والثلاثون

أهمية الوقت

استمع أخي الحبيب إلى إمام من أئمة الحنابلة، وهو علي بن عقيل الحنبلي وهو من أذكياء العالم، يقول: "إني لا يحلّ لي أن أضيّع ساعة من عمري، حتى إذا تعطّل لساني عن مذاكرة ومناظرة، وبصري عن مطالعة، أعملت فكري في حال راحتي، وأنا منطرح فلا أنهض إلا وقد

(١) الترمذي ٢٦١٦. وقال: حديث حسن صحيح .
(٢) أبو داود ٤٩٩١ .
(٣) أحمد ٤٠٦/٢ رقم ٨٠٤٨. الترمذي ٢٣٧٨ .



خطر لي ما أسطّره". لذلك لمّا حضره الموت بكى أهله عليه، فقال لهم: لا تبكوا لقد وقعّت عن الله خمسين سنة (أي: كان يفتي في المسائل التي تعرض عليه) فدعوني أتهنأ بلقاء ربي.

ولما مرض القاضي الحنفي أبو يوسف عاده بعض تلاميذه فوجده مغمى عليه، فلما أفاق قال له: ما تقول في مسألة كذا وكذا، فقال تلميذه: أفي مثل هذه الحالة؟ فقال: لا بأس بذلك ندرس لعله ينجو بها ناج، ثم قام من عنده، فما بلغ باب الدار إلا وسمع الصراخ عليه. وإذا هو قد مات رحمه الله [١].

هكذا كان السلف الصالح يحرصون على استغلال أوقاتهم، فما ينفعهم، ويعود عليهم بالخير في الدنيا والآخرة.

لذلك أقسم الله عز وجل بالزمن في سورة العصر، لقيمته، ونفاسته، وشرفه، ولأنه حياة الإنسان، فمن فرّط في وقته، فقد فرّط في حياته وأضاعها. يقول ﷺ: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ"[٢].

أي: إنّ كثيرًا من الناس مضيّع وخاسرٌ لهاتين النعمتين. وهذه بعض أقوال السلف الصالح في أهمية وقيمة الوقت:

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: "إني لأمقت الرجل أن أراه فارغاً ليس في شيء من عمل الدنيا والآخرة".

ويقول عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ: "إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما".

ويقول الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: "ابن آدم إنما أنت أيام كلما ذهب يوم ذهب بعضك".

فينبغي للمسلم أن يعمر وقته بطاعة الله، وأن يستغل دقائقه وساعاته فيما ينفعه في الدارين.

وبالله التوفيق،،،،،،



(١) انظر سيرته في سير أعلام النبلاء ٤٤٣/١٩.

(٢) البخاري رقم ٦٤١٢.

الكلمة الأربعون

الخوف من الله

أمر يدعو الإنسان لترك الذنوب، وتجنب المعاصي، والبعد عن أي شيء يغضب المولى سبحانه، إنه الخوف من الله القوي الجبّار سبحانه، وأشدّ الناس خوفًا من ربه هو المصطفى ﷺ يقول: "أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له"[١] ، كان ﷺ: "إذا تغيّر الهواء، وهبت ريح عاصفة يتغيّر ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج، كل ذلك خوفًا من عذاب الله"[٢] .

فمع أنه ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومع أنه خير الخلق، إلاّ أنه يخاف من ربه سبحانه، بل هو أخوف الناس.

ولو تأمل الإنسان حال الصحابة، وهم أفضل الخلق بعد الأنبياء، لوجد أحوالاً عجيبة من غاية العمل، وغاية الخوف:

لا تعرضنّ بذكرنا في ذكرهم ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

فهذا أبو بكر رضي الله عنه يقول: "وددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن" ورأى طائرًا يطير من شجرة إلى شجرة، فقال: "يا ليتني كنت طائرًا أرد الماء وأطير بين الشجر لا جزاء ولا حساب".

ويقول فاروق هذه الأمة: "وددت أن أنجو لا أجر ولا وزر".

ويقول: "ويل أمي إن لم يغفر لي" ثلاثاً.

وكان عثمان رضي الله عنه إذا وقف على القبر يبكي حتى يبلّ لحيته. والبعض من الناس يضحك ويمزح، وكأنه في نزهة على الشاطئ. وبكى الحسن البصري ـ رحمه الله ـ حتى أبكى جيرانه، فيسألونه، فيقول: "إني قلت يا حسن لعل الله نظر إليك على بعض هناتك [٣] ، فقال: أعمل ما شئت فلست أقبل منك شيئًا".

هذا أيها الإخوة شيء من أحوال القوم، فماذا نقول عن أحوالنا، ونحن قد انغمسنا في الملذات، وألهتنا الدنيا عن الخوف من رب البريات. نسأل الله أن يبصرنا بعيوبنا، وأن يوقظ قلوبنا من رقدات الغفلة، إنه جواد كريم.



---

(١) البخاري ٥٠٦٣. مسلم ١٤٠١ . .

(٢) البخاري ٣٢٠٦. مسلم ٨٩٩ .

(٣) أي: زلاتك وذنوبك .



الخاتمة

وفي ختام هذه الكلمات، أقول لأخي الداعية:

عليك باختيار الوقت المناسب حين الإلقاء، وانتقاء العبارات، والألفاظ التي تؤثر على الأسماع وتحرك القلوب، فأنت مشوّق ومرغّب، ومحذّر، فلقد أعطاك الله القدرة التي لا توجد عند غيرك، فوقفت أمام الناس، لتتألف تلك القلوب، وتهز تلك المشاعر، وتحدوها إلى علام الغيوب.

وليس عندي شك في أثر الكلمات القصيرة، لذا على الداعية إذا قال للناس: سأتحدث إليكم خلال عشر دقائق، أن ينتبه للوقت، ويضبط ساعته حتى لا يهدم ما بناه، لأن الناس يحسون ويشعرون بالوقت الذي يجلسونه مع الداعية، فلا يقل لهم بأن الكلمة: لا تزيد على العشر دقائق ثم يطيل بهم إلى قرابة الساعة.

فما أجمل أن يخرج الناس، ويقولون يا ليت الشيخ أطال، ولا يقولون: لقد سئمنا ومللنا من طول حديثه.

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه وصلى الله على نبينا محمد.



الفهرس




الجديد
NEW & EXCLUSIVE